يونس القاضي

مؤلِّف النشيد الوطني المصري

دراسة وتحقيق

د.إيمان مهران

٢٠١٥

اسم الكتاب	ديوان القاضي مؤلف النشيد الوطني المصري

المؤلف	د. إيمان مهران

تصميم غلاف	د. إيمان مهران

رقم الإيداع	١٦٤٢٦ لسنة ٢٠١٥

الترقيم الدولى : ٩٧٨-٩٧٧-٩٠-٣٣٧٥-٤

إهداء

إلى بلادي

الشعر عند العرب

الشعر عنوان الثقافة العربية، ومرآة العقل العربي، وهو كلام ذو معنى موزون مقفى، ينتمي للفنون الشفاهية ، يصور الحياة، ويعتمــد علــــــى الإيقـــــاع ، والعاطفـــــــة، والخيـــــــال

والشعر أعرق الفنون في تاريخ الأمــم ، وعنــد العــرب هــو تاريخهم، حيث سجلوا تراثهم وتجاربهم في الحياة ، واعتبروه مجــالاً للتعبير عن العواطف و الحوادث التي تحدث على كـل المســتويات.

هو ديوان العرب وسجل أحسابهم وأنسابهم وأيامهم ، قــال عنــه الجرجاني إنه: "فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطــاب، وأنــه مجنى ثمر العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيــد علــى الناس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضــي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد من الوالد"

وقال معاوية رضى الله عنه يجب على الرجل تأديب ولده،والشعر أعلى مراتب الأدب وقال" اجعلوا الشعر أكبر همِّكم، وأكثر دأبكم.
<u>وللشعر خصائص تتركز في</u>: الإيقاع، الأسلوب الشعري، المضمون، الوجدان.

ويعتمد الشاعر على خياله ليضع صوراً فنية يعبر بها عن المعاني التي يريد إخراجها للناس، و يستطيع المبدع تكوين الصور

الفنية، والتعبير بها عن أفكاره و مشاعره، وهناك أنواع متعددة وأقسام مختلفة، فهناك: الشعر العاطفي ، الشعر القصصي ، الشعر التمثيلي ، الشعر التعليمي.

ويقسم العلماء المهتمون بالبحث في سيكولوجية الشعوب، يقسمون الذاكرة المتحكمة في مصائر المجتمع والأفراد إلى نوعين أساسيين يؤثران معًا في تكوين الشخصية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها على الرغم من انفصالها شكلاً، وهما الذاكرة الحضارية والذاكرة التواصلية

والأولى وهي الذاكرة الحضارية وهي تختص بالماضي البعيد، ومن خلالها نتواصل مع الأجداد عن طريق ما خلفوه لنا من أشياء ونقوش وكتابات.ومعنى هذا أن وسائل التواصل الحضاري لا تقتصر على لغة الحروف التي قد لا يكون لها صلة بلغة حروفنا ، بل يشاركها في ذلك في أداء وظيفة التواصل ما يقترن بها من أشياء ورموز، تكشف عن كنه هذه الحضارات عندما تجد من يفك شفراتها. وعندئذ تشترك اللغة مع الأشياء في أداء وظيفة التواصل الحضاري التي تُعد أساسية في الكشف عن كنه كل شعب من الشعوب.

وفي ذلك تختلف الذاكرة التواصلية عن الذاكرة الحضارية في أنها تعتمد أساسًا على التواصل اللغوي، الإبداعي والإخباري، إلى جانب تواصلها عن طريق ما تخلفه من أشياء عادية.(١)

وعن فن الشعر يذكر محمد يونس القاضي في مقدمته التالي:

الشعر لسان يترجم عمًا فى فؤاد الخيال ، ولكنه لا يتحرك بإرادة صاحبه كباقى الألسنة حيث له سلطان امتدت سلطته من دولة الأمانى، وأوجد فى نفس المنفذ إرادته والناظم مفرداته وجدانا طاهراً ونفسا عالية وجلالا يهابه كل من عرف قدره ، وكفى بالشعر فخراً أن يسمع النبى عليه السلام قول الشاعر:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لم تزوّد

(فيقول إن هذا من كلام النبوة) وأن تقول عائشة رضي الله عنها "رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم"

(وبعث) زياد بولده إلى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالماً بكل ما سأله عنه ثم استنشده الشعر فقال لم أروِ منه شيئاً فكتب معاوية إلى زياد (ما منعك أن ترويه الشعر إن كان العاق يرويه فيبر، وإن كان البخيل يرويه فيسخو، وإن كان الجبان يرويه فيقاتل) وكم رفع الشعر قبيلة ووضع أخرى

١ـ من مقدمة .د. نبيلة إبراهيم ، إيمان مهران، يونس القاضي .. مؤلف النشيد الوطني المصري .. وعصر من التنوير، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠١٢

لقدعاش يونس القاضى من عام ١٨٨٨م حتى عـام ١٩٦٩م أى حوالى واحد وثمانين عاماً كتب خلالها حوالى (ثمانى وخمسين) مسرحية وآلاف الأزجال والأغانى، كما صحح مسار الإبداع المصرى فى مجال المسرح والأغنية من خلال توليه منصب أول رقيب على المسارح والملاهى والأغانى المصرية كانت كتابات يونس القاضى فى المسرح السياسى والاجتماعى هى أعمق الكتابات الموجودة فى ذلك العصر بل وأهمها.. أما أغانيه فما زالت تتردد حتى الآن وتغنيها أجيال تلو الأخرى.

لقد عبرت كلمات الشيخ يونس القاضى عن المجتمع وانتقدت الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بأسلوب فكاهى، أسهم فى استمراره داخل الوسط الصحفى والفنى حتى عام ١٩٤٢م حتى دخل ساحة الرقابة الفنية.

إن شخصية محمد يونس القاضى شخصية دعوبة وغزيرة الإنتاج الفنى منذ كان أديباً مُلماً بأسس كتابة الرواية والشعر والزجل والمسرحية الغنائية.

الصحافة فى حياة الشيخ يونس القاضى([1])

بدأ الشيخ يونس فى مراسلة الصحف منذ عام ١٩٠٥، وكان الشيخ أزهرياً فى الثامنة عشرة من عمره ، وقد أرسله والده ليتعلم فى

١. إيمان مهران، يونس القاضي مؤلف النشيد الوطني المصري .. وعصر من التنوير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٢

الأزهر، وأرسل معه خطاب توصية إلى الشيخ على يوسف صاحب (المؤيد) ليسمح له بالعمل فى جريدته، وبدأ بعد مقابلة على يوسف فى نشر مقالات كان أغلبها يُنشر فى الافتتاحية بأسماء مستعارة مثل (جرير)، و(الأخطل).. وكلما طلب من على يوسف بأن يذيل هذه المقالات بإمضائه الحقيقى، كان يصده ويرد عليه بنفس العبارة: "أنت فاكر يا ابنى أن المؤيد لعبة.. أنت لسة عيل فى الصحافة!"..

وظل الشيخ يونس على هذا الحال إلى أن كتب فى يوم من الأيام إلى الشيخ على يوسف هذا الخبر "فلانة الفلانية" مات أبوها وأرادت عمل وصية، فتقدمت إلى مجلس حسبى شربين الذى يرأسه المأمور "فلان الفلانى"، ولكن صاحب الأمر والنهى فى هذا المجلس ظل يساومها وفى النهاية أجل القضية ثلاثة شهور فمطلوب من المسئولين وقف المأمور عند حده!

وما أن قرأ على يوسف هذا الخبر، حتى ثار وضرب المكتب بيده، قائلاً "انته عايز تودينا فى داهية.. انته عايز تورط المؤيد فى قضايا.. اطلع بره!!"..خرج الشيخ يونس القاضى من المؤيد بعد أن قرر ألا يعود إليها مرة أخرى.لقد ذهب للزعيم/ مصطفى كامل وعمل باللواء منذ ١٩٠٥م وظل بها فترة طويلة.

فى عام ١٩١٠ صدر كتاب اسمه (تسالى رمضان) جاء فيه بيتان من الزجل للشيخ يونس القاضى، وقد أثاروا إعجاب الأستاذ

(أحمد عباس) صاحب مجلة (السيف) فاتصل بالشيخ يــونس، وطلــب منه أن يكون زجال هذه المجلة.

ويذكر الشيخ يونس أنه ظل يرفض العمل بمجلــة (الســيف) لأنها كانت بذيئة، حتى وافق تحت إلحاح صاحبها على نشر أزجالــه ولكن دون إمضاء ومقابل جنيه واحد عن كل زجل ينشر بالمجلة.

وكان نتيجة نشر أزجاله فى (السيف) تضاعف توزيعها، وقــد عرفوه فى الوسط الصحفى رغم عدم توقيعه باسمه تحت هذه الأزجال حيث كان (أحمد عباس) صاحب المجلة يذكر اسمه لمن يود معرفــة صاحب هذه الأزجال مقابل جنيه واحد متصوراً أن هذا لن يضره لأنه لن يجد مجلة أخرى يحصل منها على ما يحصل عليه فى (الســيف). وأعطى أزجاله لمجلات أخرى بالفعل مثل (المسامير) و(المجنون).

وقد ارتفع توزيع (السيف) من ثلاثة آلاف نسخة إلى سبعين ألف نسخة ووقع خلاف بين الشيخ يونس ومجلة الناس التى كانت تصــدر فى نفس اليوم، وانتقل للعمل فيها ليرتفــع توزيعهــا ويهــبط توزيــع (السيف) مرة أخرى.

ثم حرر فى مجلة الكشكول مع الهلباوى وسليمان فــوزى، ولــم يكن فى مصر من زجال سوى يونس القاضى وحسين شفيق المصرى ورمزى نظيم.

فى عام ١٩١٠م عمل صحفيًا بجريدة العفاف والمسامير وإيــاك أمــا اللطائف المصورة فقد عمل بها منذ عام ١٩١٢م وحتى عام ١٩٤٢م.

كما عمل فى جريدة (مصر الفتاة) لصاحبها (سيد علـــى) حيـــث كان يكتب فيها محكمة اللغة والأدب ١٩١٠م..

لقد كتب الشيخ يونس القاضى قرابة عشرين مجلة وجريدة مـــن الصحف السياسية والأدبية والفكاهية (اللواء) و(المؤيد) و(مصر الفتاة) و(النيل) و(الرشيد) و(السيف) و(العفاف) و(مصر) وغيرها.

كانت دار اللطـــائف تُصـــدر مجـــلات (اللطـــائف المصـــورة) و(العروسة) و(الأولاد) طوال ٢٧ عاماً ، وكانت اللطائف المصـــورة توزع فى كل الأقطار العربية ، وقد أحب الشيخ يونس العمل بها كاتباً وزجالاً، وكان ضمن فريق التحرير فيها وقد شـــغل منصـــب رئـــيس تحرير القسم الفنى بها، وكانت أزجاله أسبوعية منـــذ عـــام ١٩١٥م وحتى عام ١٩٤٢م وكان زجل الشيخ يونس السياســـى ينشـــر تحـــت رسوم كاريكاتير الأستاذ صاروخان.

كمـــا شغل الشيخ يونس منصب رئيس تحرير (مجلة مصـــر) عام ١٩١٩م.

لم يدخل الشيخ يونس القاضى المؤيد بعد ذلك وتتلمذ فى العمـــل الصحفى على يد الزعيم/ مصطفى كامل ومن بعده تلميذه سيد علـــى صاحب (مصر الفتاة) وزميله محمد لطفى جمعه.

ذكر الشيخ يونس القاضى أن الباب الذى لفت إليه الأنظار فى جرائد الحزب الوطنى لم يكن سياسياً بل كان محكمة (الأدب والفـــن) وكان يبحث فى أخطاء اللغة لكبار الكتّاب.. ومن الذين حاكمهم (محمد

سليمان عنارة) وكيل المحكمة الشرعية ود. طه حسين والأستاذ/ لطفى السيد..

وبعد وفاة الزعيم/ مصطفى كامل ، ظل يعمل فى اللواء تحت رئاسة تحرير عبد العزيز جاويش ثم انتقل إلى جريدة (مصر الفتاة).

وعمل الشيخ يونس القاضى كرئيس تحرير جريدة (مصر) بعد عام ١٩١٨م من أجل تدعيم معانى الوحدة الوطنية بين الهلال والصليب..

لقد أسهمت الصحافة في توطيد علاقاته بالفنانين والأدباء وهو ما ظهر جلياً فى صداقته لهم ومتابعته للإنتاج الفنى الذى استفاد منه بعد ذلك.

الشيخ يونس القاضى والتأليف المغنى للنص الزجلي

نُشرت أزجال يونس القاضى فى أغلب المجلات والجرائد التى عاصرها وقدم فى بواكير الإذاعة المصرية برنامجاً أسبوعياً يُعرض فيه أزجاله.

وفى الحقيقة أن الصحافة كان لها دور كبير فى شهرة أزجال الشيخ محمد يونس القاضى استمرت فى نشره حتى عام ١٩٤٢م.

وقد لُقب محمد يونس القاضى (بشيخ المؤلفين) و(زجال الشعب) لكن بدأ ناظماً للشعر وأصدر ديواناً فى عام ١٩١١م.

كتب الشيخ محمد يونس القاضي أزجالاً حين لم يكن سوى:

(رمزى نظيم) و(حسين شفيق المصرى) ينظمون الزجل.. وكان قبلهم الأستاذ الكبير/ محمد النجار صاحب مجلة (الأرغول).

بعد محمد يونس القاضي جاء المبدع/ بديع خيرى ثم الأستاذ/ بيرم التونسى ولتستقر الخطوط العريضة لفن الزجل على قدم راسخة فى مصر.

كتب الشيخ محمد يونس القاضي ، آلاف الأزجال والتى يصعب جمعها بشكل كامل وسنحاول تخصيص كتاب لهذه الأزجال الصحفية.

كما كتب الشيخ يونس الزجل والبليق والحماق والمزبلج والمكفر، فنجد أن الكثير من أزجاله احتوى على الغزل والهزل والخلاعة والهجر والنكت والمواعظ والحكم.

وعّبر بكل الطرق عن الوطن والوطنية والعمل، كما عُبر عن الحب والهيام، وسار على درب الهوى فى زجل به مفردات حب عفيفة أحياناً وصريحة وخليعة فى أحيان أخرى..حالات عديدة تحتويها المشاعر فى أزجاله تنتقل من حالة إلى أخرى فى ذكاء من المؤلف لإدارة الدفة حول معنى يريد إيصاله بطريقة غير مباشرة وهو معنى غالباً سياسى ، وهذه الطريقة فى كتابة الأزجال كانت فى أثناء تشديد الرقابة على كتاباته، وهو ما يستلزم أن تتحول فى أحيان كثيرة إلى الأزجال العاطفية الصريحة للبعد عن أية مشكلات.

السيرة الفنية للشيخ يونس القاضي

- **أول رقيب مصرى للمصنفات الفنية .**
- **رائد تأليف المسرح الغنائى في مصر <u>وأعماله المسرحية بالترتيب الزمني:</u>**

- مسرحية (سلموا القط مفتاح الكــرار)اشتهرت بعد ذلك باسم (مظلــوم يا وعدى) وعرضت على (مسرح الكلوب المصرى)

_ مسرحية مظلوم يا وعدى.. عرضت على مسرح الكلوب الحسينى فرقة فوزى الجزايرلى.

- مسرحية حسن أبو على سرق المعزة.. عرضت على مسرح كازينو دى بارى فرقة الأستاذ/مصطفى أمين.

- مسرحية زقزوق وظريفة عرضت على مسرح دار التمثيل العربى فرقة الأستاذ/مصطفى أمين المسرحية.

- مسرحية ابن العمدة عرضت على مسرح دار التمثيل العربى فرقة الأستاذ/ مصطفى أمين المسرحية.

- مسرحية كلام في سرك.. عرضت على مسرح دار التمثيل العربى تلحين كامل الخلعى قدمتها فرقة السيدة / منيرة المهدية.

- مسرحية حرم المفتش.. عرضت على مسرح برنتانيا تلحين محمد القصبجى. قدمتها فرقة السيدة / منيرة المهدية.

- مسرحية التالتة تابتة.. عرضت على مسرح دار التمثيل العربى تلحين كامل الخلعى. قدمتها فرقة السيدة منيرة المهدية.

- مسرحية كيد النسا أو (قليل البخت).. عرضت على مسرح برنتانيا تلحين محمد القصبجي.. قدمتها فرقة السيدة منيرة المهدية (٢/فبراير/١٩٢٨م).

- مسرحية كلها يومين.. عرضت على مسرح دار التمثيل العربي تلحين سيد درويش .. وقدمتها فرقة السيدة منيرة المهدية مايو/١٩٢٠م.

- مسرحية المظلومة.. عرضت على مسرح برنتانيا تلحين محمد القصبجي، كامل الخلعي، محمد عبد الوهاب قدمتها فرقة السيدة منيرة المهدية (وظهرت للعرض في ١٩٢٦/١/٢٤) (وعرضت في ١٩٢٦/١/٢٧).

- مسرحية حماتي.. عرضت على مسرح برنتانيا تلحين/ محمد عبد الوهاب قدمتها فرقة منيرة المهدية (٢٥/١١/١٩٢٦م).

- مسرحية المخلصة.. عرضت على مسرح مدينة الأزبكية تلحين رياض السنباطي قدمتها فرقة منيرة المهدية (عرضت في مارس / ١٩٣٣).

- مسرحية كليوباترا ومارك أنطوان.. عرضت على مسرح البرنتانيا. تلحين سيد درويش (الفصل الأول وجزء من الفصل الثاني). ومحمد عبد الوهاب (جزء من الفصل الثاني والفصل الثالث). قدمتها فرقة منيرة المهدية (أعلنت عنها في عام ١٩٢٣م ،ولكنها عرضت في

٢٠/١/١٩٢٧م، وهى تأليف ماسونيه واقتباس سليم نخلة ويونس القاضى)

- مسرحية مملكة الحب.. تلحين رياض السنباطى. قدمتها فرقة منيرة المهدية.

- مسرحية عروس الشرق تلحين رياض السنباطى قدمتها فرقة منيرة المهدية.

- مسرحية السعد وعد.. عرضت على مسرح دى بارى فى القاهرة تلحين كامل الخلعي.

- مسرحية البدر لاح.. تلحين كامل الخلعى.. قدمتها فرقة الأستاذ / محمد بهجت المسرحية.

- مسرحية البربرى فى باريس.. قدمتها فرقة على الكسار المسرحية.

- مسرحية الدنيا وما فيها.. عرضت على مسرح حديقة الأزبكية تلحين داود حسنى قدمتها فرقة أولاد عكاشة (٣/١١/١٩٢٤م).

- مسرحية توبة على إيدك عرضت على مسرح معهد الموسيقى تلحين حسن أنور قدمتها فرقة نادى الموسيقى الشرقية شارك فيها عزيز عثمان ومحمد عبد الوهاب.

- مسرحية فاتنة الأندلس.. تلحين عبده قطر نصر قدمتها فرقة حياة صبرى وهو إسكتش من فصل واحد قدم فى عام ١٩٣٥.

- مسرحية آدى العينة.. عرضت فى صالة بديعة مصابنى قدمته السيدة/ بديعة مصابنى إسكتش من فصل واحد عام ١٩٣٤م.

- مسرحية الشرط نور.. تلحين كامل الخلعي.
- مسرحيات: حلاوة البخت، بنت غلطة، الجنون فنون، المساواة، المعذبة، الوكيل، الطاعة، ثروة القطن، البوسفور، المداحة، آدم وحواء، إللي وقع يتصلح، الفهلوية.
- مسرحية الدموع.. قدمت عام ١٩٢٩م قدمتها فرقة عكاشة ألحان داود حسني. وقد احتوت على ١٢ لحناً.
- مسرحية رومية الحب.. عرضت على خشبة كازينو البوسفور تلحين رياض السنباطي.. قدمتها فرقة منيرة المهدية عام ١٩٣٤م.
- مسرحية الرجالين .. قدمت على خشبة كازينو البوسفور تلحين رياض السنباطي.. قدمتها فرقة منيرة المهدية عام ١٩٣٤م.
- مسرحية حاجب الظرف.. عرضت على خشبة مسرح كازينو البوسفور تلحين رياض السنباطي.. قدمتها فرقة منيرة المهدية. رخصت في ٤/٤/١٩٣٤م.
- مصر.. كتبت في أواخر الستينيات من القرن العشرين ، ولم تعرض.

<u>كما كتب يونس القاضي أغاني لمسرحيات ، وذكر هذا في حديث صحفي ومنها :</u>

- مسرحية فيروز شاه.. والتي عرضت في ٢١/٧/١٩١٨م وقدمتها فرقة جورج أبيض.

- مسرحية الباروكة ترجمة محمود مراد وعرضت فى ٢٤/١١/١٩٢١م وقدمتها فرقة سيد درويش وعمر وصفي.

- **كتب ما يقرب من ألفي أغنية ، وأشهر تلك الأغانى[١]:**

- بلادى .. بلادى تلحين سيد درويش غناء محمد بخيت ثم الست تودد ثم السيدة فايدة كامل.
- زروني كل سنة مرة.. تلحين سيد درويش عنـــاء فتحية أحمد ثم زكى مراد ثم السيدة /فيروز.
- أنا هويت وانتهيت.. تلحين سيد درويش غناء سيد درويش ثم السيدة/ سعاد محمد.
- بصارة.. براجة.. تلحين سيد درويش غناء منيرة المهدية ثم وداد (اللبنانية).

. يذكر الشيخ يونس أحياناً أنها (٦٠٠)، وأحياناً (٢٠٠٠) وهذه الأرقام ذكرها فى حوارات.. وأرى أنها تزيد عن (٢٠٠٠) فقد جمعت له بالفعل أعداداً كبيرة منها ما أستطيع نشره ومنها ما لا يناسب عصرنا ولا أستطيع نشره.

والأغانى التالى ذكرها من تأليف شيخنا وهى مسجلة بجمعية المؤلفين والملحنين بالقاهرة أو سجلها الشيخ محمد يونس القاضى فى المحكمة المختلطة (مكتب توثيق الشهر العقارى بمحكمة دار القضاء العالى حالياً) وذلك عام ١٩٢٣ وبالتحديد فى بداية هذا العام حتى يحصل على عضوية جمعية المؤلفين والناشرين.

وهذه الأغانى مسجلة فى أسطوانات تحمل اسم الملحن وفى نهاية كل عام يوجد كتالوج شركة الأسطوانات الذى يحمل نص الأغنية واسم مؤلفها.. وسننشر فى الجزء الثانى باقى هذه الأغانى.

- أهو دا اللى صار.. تلحين سيد درويش غناء عبد اللطيف البنا.
- أنا مالى هى اللى قالت لى .. تلحين سيد درويش وغناء أمينة القبانية.
- مظلومة وياك يا بن عمى .. تلحين سيد درويش غناء فتحية أحمد.
- الجهادية أو (يا أمى ليه تبكى علىّ).. تلحين سيد درويش غناء نعيمة المصرية ثم محمد بخيت ثم الست توحدة.
- يا بلح زغلول .. تلحين سيد درويش غناء نعيمة المصرية.
- الأستيك فوق صدرك يضوى   تلحين سيد درويش غناء الست توحدة.
- خفيف الروح بيتعاجب. تلحين سيد درويش غناء السيدة / منتهى الوحيدة.
- أنا عشقت.. تلحين سيد درويش غناء منيرة المهدية.
- عواطفك أشهر من نار.. تلحين سيد درويش غناء زكى مراد.
- فى شرع مين قاضى الهوى تلحين سيد درويش غناء زكى مراد.
- خفيف الروح بيتعاجب.. تلحين سيد درويش غناء زكى مراد.
- يوم تركت الحب.. تلحين سيد درويش غناء محمد أنور.
- ضيعت مستقبل حياتى.. تلحين وغناء سيد درويش.
- الحبيب للهجر مايل.. تلحين وغناء سيد درويش.
- يا فؤادى ليه بتعشق.. تلحين وغناء سيد درويش.
- عشقت حسنك.. تلحين وغناء سيد درويش.

- يا للى قوامك يعجبنى.. تلحين وغناء سيد درويش.
- عرفت آخرتها ويا حبى.. تلحين وغناء سيد درويش.
- يوم تركت الحب.. تلحين وغناء سيد درويش.
- مجد أنطونيو الهمام.. تلحين وغناء سيد درويش.
- حب الوطن فرض عليّ أفديه بروحى وعنيّ (عام ١٩١٨م)، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب .
- أهون عليك تزيد نارى .. وأشكيلك لم ترحم حالى ، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب.
- أغانى مسرحية كليوباتره ومارك أنطوان، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب ،عام ١٩٢٦م
- (قال إيه حلف ما يكلمنيش) لأم كلثوم لحن عبد الوهاب عام ١٩١٩م..
- أحب أشوفك كل يوم ... يرتاح فؤادى وكانت مؤلفة ليغنيها الشيخ / درويش الحريرى عام ١٩٠٨م وأخذها عبد الوهاب ليغنيها بعد ذلك.
- (تراضينى وتغضبنى .. وانت على حالك)، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب.
- (واللى نبات فيه نفضل فيه .. طيب استنى هنيالك)، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب

- كلنا نحب القمر .. و القمر بيحب مين .، كروان شرح له حنينه، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب.
- يا مصر حسنك ما له مثيل ..من صغر سنى قلبى يميل ..لشكل أهرامك والنيل)، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب.
- فيك عشرة كتشينة..فى البلكونة، تلحين وغناء محمد عبد الوهاب
- قال إيه حلف ما يكلمنيش، غناء ام كلثوم، تلحين محمد عبد الوهاب
- أنا عندى أمل.. تنسى اللى حصل" ، غناء ام كلثوم، لحنها الأستاذ/ محمد القصبجى من كلمات الشيخ يونس القاضى

- **<u>من هذه الأغانى التى ألَّفها يونس القاضى، وعبَّرت عن الحب والغزل العفيف الأغانى التالى ذكرها:</u>**

- ليلة فى العمر ما فيش منها.. تلحين: داود حسنى، محمود حسين- غناء: منيرة المهدية.
- يمامة بيضاء.. تلحين: داود حسنى، سيد درويش- غناء: منيرة المهدية
- مصر الجديدة.. تلحين: حسن أنور - غناء: منيرة المهدية
- غيرى على السلوان قادر..
- يا ليل أسير الغلابة.. واللى ضاق بى الحال (موال).
- يا حنينة يا عينى حنينة (مستلهمة من الفولكلور الصعيدى).
- منديلى يا تينة دا وقع فى الحارة .. غنتها توحيدة، ثم بهية المحلاوية، ثم نعيمة المصرية.

- ألو ألو- غناء رتيبة أحمد وزكريا أحمد- تلحين: زكريا أحمد.
- يا صبر أجيبك منين.. غناء السيدة منيرة المهدية.
- يا للى جرحت القلب داويه.. غناء الشيخ سيد الصيفى- لحن: أحمد غنيمة.
- رحنا نبيع الذهب.. غناء محمد الكحلاوى.
- يسعد صباح الحبايب.. (لحنت على أنغام موسيقى قديمة).
- الفل شاف يوم محبوبى.. تلحين: محمد إسماعيل حسن.
- غردى يا أيك.. موشح تلحين: محمود صبح.
- إيه العبارة.. تلحين: سيد درويش، أبو بكر خيرت.
- أيتها الأزهار.. تلحين: سيد درويش.
- كان على عينى غشاوة.. تلحين: سيد درويش.
- حبيب غاب وبقاله زمان.. تلحين: سيد درويش.
- سيبونى يا ناس فى حالى.. تلحين: سيد درويش.
- السبرتو خمسين مليم.. تلحين: سيد درويش.
- أيه الجناية وأيه الذنب.. تلحين: سيد درويش.
- إن كنت شارينى ما تبعنيش.. تلحين: سيد درويش.

- **من الأغانى التى ألفها الشيخ/ يونس القاضى وعبرت عن الحب بأسلوب الغزل الصريح.. وكانت شهيرة وقت غنائها:**
  - عدى عليكى يا قمورة.. غناء: منيرة المهدية.
  - فلفل.. فلفل إهرى يا مهرى.. تلحين: سيد درويش.

- حرج عليّ بابا مارحش السينما.. تلحين: سيد درويش.
- يا لابس ع السترة نجمة.. تلحين: سيد درويش.
- يا أها أها قال إيه تغير من بنتها.. تلحين: سيد درويش.
- يا حليلة.. يا حليلة.. تلحين: زكريا أحمد.
- إرخى الستارة اللى فى ريحنا.. غنتها منيرة المهدية ثم عبد اللطيف البنا.لحن زكريا أحمد.
- ما تخافش عليةّ.. أنا واحدة سجوريا.. غنتها منيرة المهدية ثم نعيمة المصرية ثم عبد اللطيف البنا.. تلحين: زكريا أحمد.
- الساعة كام يا سى محمد..غناء منيرة المهدية تلحين/ زكريا أحمد.
- بعد العشا.. غناء/ منيرة المهدية تلحين: محمد القصبجي.
- يا منعشة يا بتاعت اللوز.. غناء، منيرة المهدية تلحين حسن انور تعالى يا شاطر نروح القناطر
- غرامك مدرسة عشاق.. لحن الشيخ/ محمود صبح
- يا ميت مسى على العيون الكويسْ.. غناء/ منيرة المهدية.

(وكان أول أغنية كتبها للسيدة منيرة المهدية عام ١٩١٢)

- أوعى تبلغنى أشوفك.. غناء: منيرة المهدية.
- يمينك سوق.. غناء: منيرة المهدية.
- بطلوا ده واسمعوا ده.. تلحين: سيد درويش.
- الأستيك على صدرك يضوى.. تلحين سيد درويش ،غناء منيرة المهدية.

- وأنا مالى هية اللى قالتلى.. تلحين: سيد درويش.
- يا نينا ليه عرسان.. تلحين: محمد إسماعيل حسن.
- من بعد تلتاشر سنة. تلحين: محمد القصبجى.
- حٌد الله يا ناس.. تلحين: محمد عمر غناء: أبو الحسن عبد الغفار.
- هنا.. هنا وإربط هنا.. تلحين: سيد درويش.
- مقعدش وياك والنبى.. تلحين: سيد درويش.
- بالزمة قولولى.. تلحين: سيد درويش.
- إيه العبارة لسه فى إ يدى حرق.. تلحين: سيد درويش.

ديوان القاضي

درة المكتوب والمنشور له حتى عام ١٩١١م

نشأ الشيخ/ يونس القاضي في قرية النخيلة بمركز (أبوتيج) بمحافظة أسيوط ، وظهر ذلك في ديوانه الملئ بالشعر عن أسر وعائلات قرية النخيلة، كما كتب عن أمير من العائلة المالكة زار القرية ونزل على مصطفى باشا خليفة والذي رآه عميد القرية..وجاء شعره فيه كالتالي:

عميد نخيلة من قد كساها … بصائب فكره حُللا لطيفه

وألبسها من العلياء ثوباً … قشيباً والقرى لبست شفوفه

الرواية القصصية في شعر الشيخ يونس

اهتم الشيخ يونس القاضي بالعديد من التفاصيل التي أحاطته، ومنه التالي وهي مواقف عديدة ضمنها ما وصفه بحادثة غريبة إذ قال واصفاً :

فى ضريح الحسين أبصرت قوما … من خليط معمم وأفندى

وفتاة تقنعت بنقاب … مزقت ذاك للخلاعة أيدى

عند باب المخلفات أرتنى … شمس إحسان لا محيا لهند

فاستمالت وغدا لمد يديه … نحوها ثم قال انك قصدى

اقرأ السورة الطويلة لكن … بعد أخذى (يا ست نقدى وعدى)

قالت اخسأ إن كنت أنت فقيها … حارب الدين ناكثا كل عهد

قال إنى سؤول غرش فقالت … لست أعطى إلا لعمرو وزيد

قال جودى على الضرير بغرش … قال اعلم بأن ذا ليس يجدى

قال بالعنف آخذ الغرش غصبا … قالت الخود لى على بجند

فأتى جندى وأنذر هذا … وتنحت ووجهها ظل يندى

وإلى القسم سيق وحش ضرير … لابسا للهوان أردأ برد

وكذا آكل ثم جاء يجنى … حنظلا مرامن مواضع شهد

ثورة الأزهر ونضال المعمم المبدع

أما عن ثورة الأزهر فقد جاء شعره كالتالي:

واوصيكموا بالجند خيرا فإنهم ... يقووننا أن رام قهرى غادر
قصيدى عليكم القيت بتمامها ... ولست الذى يرتاح أن قيل شاعر

في الأزهرفى مظاهرات سنة ١٣٢٨

قد ربينا فى الأزهر المتسامى ... خير روض وهل لهذا مثيل
هو عندى كغادة ذات حسن ... ذو الضنى يصبو نحوها ويميل
أنـــاصب بـــه محـــب معنـــــــــي ... غيـــــــر أن الـــرقيب عـــــزول

في مدح ورثاء الأزهري الشيخ بدر نصر

اخوتى اخوتى سلام عليكم ... وثناء منى وشكر جزيل
فلقد احييتم بمعهد علم ... لجنة فيها قد تحار العقول
قد أضاءت بكم وأشرق فيها ... بدر نصر لا يعتريه الأفول
لجنة أعربت عن الود فيكم ... حيث حيي فيها الخليل الخليل
أن هذى يدي إذا ساعدوها ... حيث إنى إلى الوئام أميل

رثاء الشيخ بدر نصر

رحم الله أعظما دفنوها ... أوقدت بعدها بقلبى نارا

رحم الله مفتيا كان فينا ... بدر نصر أقام حينا وسارا

حينما مات اشتد حزنى وأضحى ... دمع عينى لنعيه مدرارا

إذ غدا بعده الوفا كسراب ... رحم الله من أفاد الديارا

في القضاء والقاضي

<u>قال في قاضى الإحالة ونشرتهن الجرائد:</u>

أيا رب القضاء بأرض مصر ... لقد أحببت فى مصر العداله

فقد برأت من سجنوا اتهاما ... وأظهرت الروية والأصالة

فقلت إذاً مع الحمد ارتجالا ... لقد أنصفت يا (قاضى الإحالة)

في مجلس النظّار(مجلس الوزراء)

أيا مجلس النظار ها نحن أمة ... تريد رقيا لا تريد التأخرا

عرضنا عليكم بادئ الأمر سادتي ... مطالب كيما تفحصوها وتنظرا

فعينتم من الخيرة القوم لجنة ... لتفحصها والله يعلم ما جرى

وعدتم وماطلتم وتلك سجية ... لغيركمو من لم يجيدوا التدبرا

رثاء فقيد الأمة والشرق مصطفى كامل باشا

إذا حزنت مصر البلاد وأهلها ... فقد فرحت عند القدوم قبور

وقد زينت حور وولدان جنة ... وقد شيدت وسط الجنان قصور

وكم مخلص شق الجيوب تحسراً ... مذ ارتاح من آل الجنان ضمير

في الحب والهوى

رضيت بنظرة فى كل يوم ... ففى لقياك طب المستهام

فجودى واعطفى كرما لعلى ... أدواى القلب من ألم السقام

ويوم لا أراك بألف شهر ... تمر بشقوتى بين الأنام

وفى حين النوى تعمير نوح ... وشره لا أراك بألف عام

وعام لا أراك يضيق صدرى ... من الوجد المبرح والهيام

ويؤلمنى تذكركم نهارا ... ويزعجنى خيالك فى المنام

أحبك لا لفاحشة ولكن ... شريف الحب مصباح الوئام

وقد شغفتْ بكم روحى لأنى ... رأيت الحب من شيم الكرام

في حب ناهد و يونس القاضي

أحببت من بين الكواعب ناهدا ... حب الفقير لصاحب الكف الندى

هى شمس حسن ألبست حلل البها ... وبنورها بين البرية اهتدى

لولا مودتها وحسن طويتى ... وشريف خاطرها وفرط توددى

ووفاءها عهدى وخلقى عاذلى ... ما كنت اعرف أمس يومى من غدى

وإذا سمعت ولست أسمع إنها ... مرضت وآلمها سؤال العود

بالروح أفديها وصحبي كلهم ... والأقربين وكلما ملكت يدى

وإذا أراد الحاسدون تباعدى ... واصلت حبي رغم أنف الحسد

وعذابها عندى كعذب رضابها ... وصدودها عندى كحر تنهدي

أهل الهوى

يقول لها إنى أريد معونة		فقد صرت بعد القطن أفترش الثرى
ومن خالص المال الذى قد وهبته		لذاتك حين ابتعث فى الليل مسكرا
تجودين لى منه بشىء لأننى		وعمرك حر لا يباع ويشترى
لعمر أبى ماذا يكون جوابه		أتزرى به إذ كان للفقر مظهرا
أم القلب يحنو صبوة فتغيثه		وتعطيه مالا أموّب مقهقرا

لعمرى وما عمرى على بهين		لقد ساء من شاء المحبة متجرا
فمن غره حب الحسان عشية		فسوف يريه الدهر أعجب ما يرى
لأن الغوانى لم يملن إلى فتى		يكون فقيرا أو غنيا مقترا
ومن ود صدق القول فليأت ضحوة		على جسمه طمر ولن يتنكرا
سوى أنه يأتى حبيبته التى		كثيرا أراها موسرا ليس معسرا
يقول لها قول امرىء متصنع		على شرط أن لا تعلم القول مفتر

العشق

العشق للصب الحميم		عذب ولو شرب الحميم
والكاس ليس بمسكر		ما لم يكن من كف ريم
والعيش فى ظل الحبيب		ألذ من دار النعيم

وردة الروض

أهديك وردة روض لا شبيه لها		فوق الغصون تضاهى خدك الزاهى
فإن قبلت فعطف منك يا أملى		وإن منعت فما حسبى سوى الله

خطابك

أزكى خطابك جاءنى   ومداده من عنبر
آياته قد فصلت   وكلامه كالسكر

حوض الكوثر

ولما قرأت الرد منك رأيتنى   للذة معناه كشارب مسكر
ولكننى يا صاح لست بوارد   حياض خموران يكن حوض كوثر

حبيبة قلبي

حبيبة قلبى ليس للقلب سلوة   فجودى بوصل وارحمى العاشق المضنى
فيارب متى استرح من مصائبى   فلست لهذا العيش فى الناس لواما
لأنى أرى موتى ولا هجر ساعة   ترينى سرورى والتواصل أحلاما

عشقتك

عشقتك ظبية غصنا ميودا   ولو واصلت أكمدت الحسودا

نهانى عازلى فصددت عنه   فقد علمتنى منك الصدود
يخيل للمتيم إن تهنى   برؤيا منك أو قطف الورود
أو انتعش الفؤاد بجنح ليل   وقد واصلت مضناك الودود
تتيه إذاً أيا عنيات نفسى   كأنى فى الهوى صرت الرشيد

ديار ليلى

أمر على الديار ديار ليلى ... وقد خل الديار من العذارى
ومن شغفى بهن وحر وجدى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبى ... فأخلع فى محبتها العذار
وأنفى النوم عن جفن قريح ... ولكن حب من سكن الديار

خيالك

خيالك فى التباعد والتدانى ... ورسمك يا زكى بين الجنان
وبعدك قاتلى ومضيع لبى ... وشخصك ليس يبرح عن عيانى
وشوقك فى الجوارح مستكن ... ووجدى زائد ولكم أعانى
لأنكِ قد ملكتِ القلب منى ... وذكرك لا يفارقه لسانى

هجرته

حبيبى هجرت بغير سبب ... وكنا ارتبطنا بأقوى سبب
فضوعف وجدى وقل الكرى ... وقلبى لذاك أراه اضطرب
واكثرت عهد النوى بعدما ... سمحت بقربى ونلت الأرب
فبالله عودا لدهر به ... شربنا سوياً كئوس الطرب

في حكم الحياة

وقال مملياً تلميذاً:

لا تصاحب من الرجال سفيّها ... وادخر سيدا حميد الخصال

وإذا أبصرت النساء نهارا ... يتبخترن فى أشد اختيال
فالزم الصمت والحياء دواما ... واترك الطيش حيلة الجهال

يوم شم النسيم

طير أيك على الغصون ترنم ... وعلى القوم العابدين ترحم
وبكا أهل ذا الزمان بكاء ... قد شجانى والجسم منى تألم
حيث قال المهدى إلى شجونى ... مسلم صلى للنبى وسلم
مسلم يقتدى بمثل يهودى ... أو بغاة المسيح عيسى ابن مريم
مسلم يأخذ المواسم عيداً ... ولعيد الإفرنج شاد وعظم
ولعيد الأقباط شاد صروحا ... ولصرح الإسلام هدو هدم
وأنينى على زمان تفانى ... فأتانا زمان من لبس يرحم
قد أتانا زمان خمر ولكن ... شربها قد رأيت أمرا محتم
ليت شعرى هل الإله أمرنا ... أم نبينا لتركها كان حرم
أم نرى ذاكراً صحيح البخارى ... أن طه لها أباح وكرم
بل نرى فى القرآن حكم إلهى ... شاربوها مأواهم بجهنم
أيها المصرى افتخرت علينا ... بفسوق وكل فعل مزمم
وأخص الآثام فى عيد فصح ... هل بعيد الفصح ذا لم يحرم
إن شممت النسيم من غير سكر ... هل يقال أغتدى أصم وأبكم

في تبرج الغانيات

فعل النساء بمصرنا ... لم تخف منه خافية
يلبسن أثواب التهـــــــــــــ ... ـتك وهى طبعاً واهية
ولبسن فوق الخد منــــــــــــ ... ـديلا أضل الغانية
أما الرجال كأنهم ... أعجاز نخل خاويه
عجبى من الرجل الذى ... يرضى بزوج باغية
رضيت به يا ليتها ... كانت عليه القاضية

أهل مصر

تحارب مصر وهى تريد سلما ... فؤادا لا تروعه الخطوب
فواعجبى لما حاربت مصراً ... كان مقابل السلم الحروب
ألا فاخمد سعير الحرب يوماً ... أهل مصر فتى . حر أديب؟
فحسبك أن يكون لها وقودا ... وحاذر أن يشب لها لهيب
فقد دمرت دوراً عامرات ... تلاد المال والعقل المصيب
فأمسى فى حشاشتها كلوم ... وقد حلت بساحتها الكروب

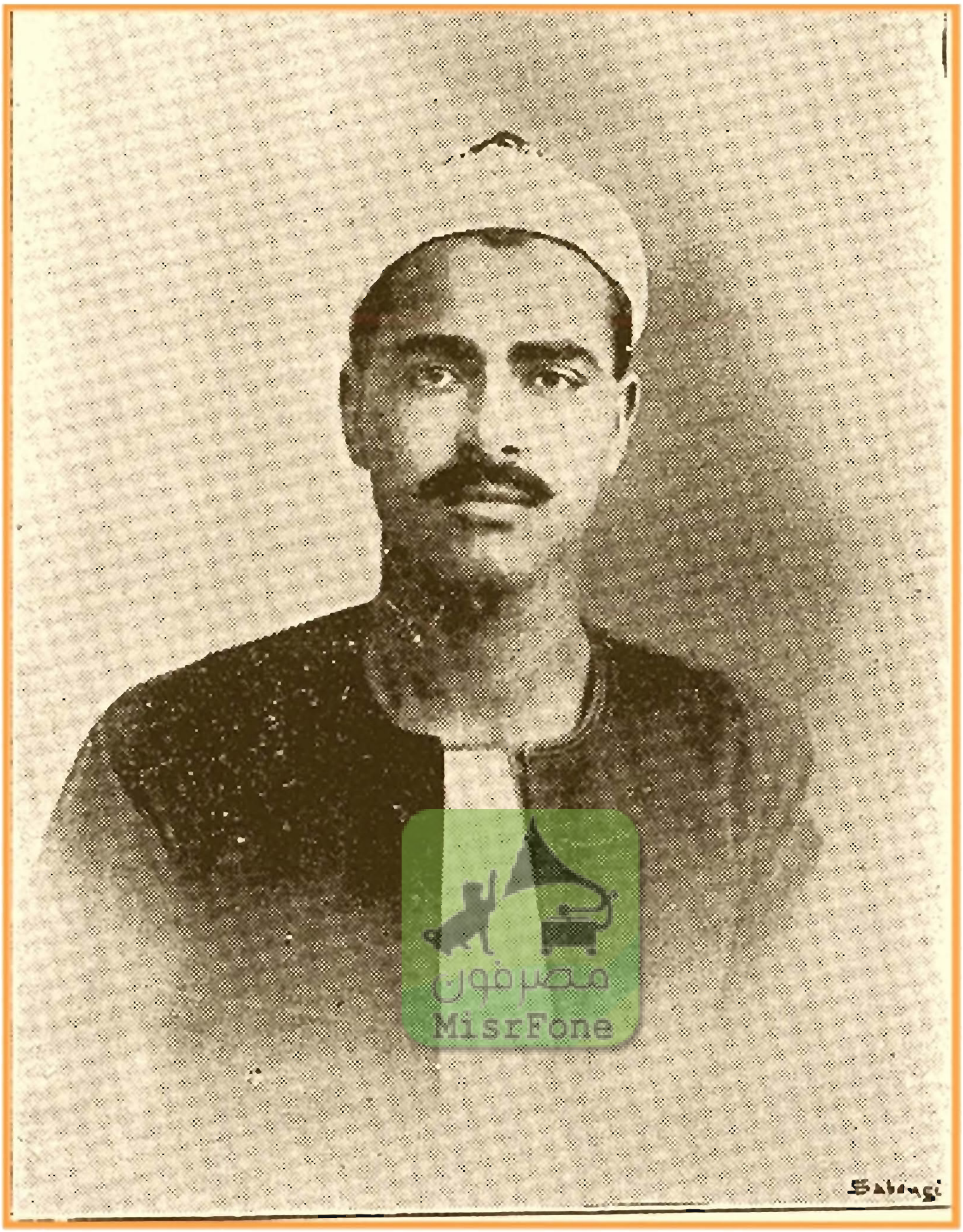
في وداع مصر

أفارق مصر اليوم لا عن ملالة ... فإنى بها صب وذى لى عاشقة
ولكن أحداث الزمان لها يد ... تطوح بالمضنى وتقصى رفائقه
ولــو أنصفت أيدى الزمان رمت بــه ... إلــى حيث يلقــى إلفــه ومفارقه
ومن كان ذا وجد وفارق إلفه ... جوارحه بالوجد تصبح ناطقة
ولولا زفيرى كنت أظهرت زفرتى ... ولولا أنينى قلت نفسى وامقة
ولكن أؤسى النفس فالصبر دأبها ... فبالصبر نفسى عن سواها لفائقة



بالأزهر الشريف

أيا قارئاً ديوان شعر ابن يونس * تكرم وقل للناس لو كنت منصفى
جميع حقوق الطبع طبعاً تكاملت * ولكنهـــا محفوظـــة (للمؤلـــف)



خيال عند ناظره * بآيات الوفا راضي
يمثل طبع صورته * (محمد يونس القاضي)

١٣٢٩ - ١٩١١

سفر

به جميع أبواب العسر كالتضرع والمناجاة والتوسُّل والمديح والتهانى والوصف والفخر والماس والجكم وغزل المؤنث والمكر والاستعطاف والعتاب والرسائل وشكوى الزمان وخطب الأفراح والمواعظ وخطب المجتمعات والتضمين والتشطير والتخميس والاقتباس والهجاء والوداع والمراثي نظم فرائده وصاغ عقوده بالأزهر الشريف.



بالأزهر الشريف

أيا قارئاً ديوان شعر ابن يونس * تكرم وقل للناس لو كنت منصفى
جميع حقوق الطبع طبعاً تكاملت * ولكنها محفوظة (للمؤلف)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله (ناظم) عقد الخلائق ومحلّى الألسنة (بوصف) الحقائق (المسبغ) علينا من (مديد بحره) ما جعلنا (رافلين) فى ثياب شكره سبحانه (نبسط) إليه (الكف) ونسأله الرحمة والعطف ، ونعوذ به من جموح (القلم) وزلة القدم ، ونصلى على (كامل) الصفات ونسلّم على (وافر) الهبات واسطة (العقد النضيد) (وبيت القصيد) خير من (نطق بالضاد) وقهر الأضداد القائل (إن من الشعر لحكمة) وإن من (البيان) لسحرا (القاضى) فى ديوان (الفصحاء) بما تأمر به الشريعة (السمحاء) (سيدنا محمد بن عبد الله) صلى وسلم عليه مولاه وعلى آله وأصهاره وأصحابه وأنصاره أهلة السعادة (وعنوان) السيادة (أوتاد) (بيت) النجاح (وأسباب) الفلاح (الشاعرين) بأنهم (موازين) العدل وبدور الفضل ، اللهم كما هديتهم للدين القويم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

مقدمـــة

الشعر لسان يترجم عمَّا فى فؤاد الخيال ، ولكنه لا يتحرك بإرادة صاحبه كباقى الألسنة حيث له سلطان امتدت سلطته من دولة الأمانى وأوجد فى نفس المنفذ إرادته والناظم مفرداته وجدانا طـــاهراً ونفســا عالية وجلالا يهابه كل من عرف قدره ، وكفى بالشعر فخراً أن يسمع النبى عليه السلام قول الشاعر:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار ما لـــم تـــزوِّد

(فيقول إن هذا من كلام النبوة) وأن تقول عائشة رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم .(وبعث) زياد بولده إلى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالماً بكل ما سأله عنه ثم استنشده الشعر فقال لم أروِ منه شيئاً فكتب معاوية إلى زياد (ما منعك أن ترويه الشــعر إن كـــان العاق يرويه فيبر وإن كان البخيل يرويه فيســـخو وإن كـــان الجبـــان يرويه فيقاتل) وكم رفع الشعر قبيلة ووضع أخرى ، وليس حديث أنف الناقة بغريب حيث كانت تعيرهم العرب هذا اللقب وما رفعوا إلا بقول الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومَنْ يساوى بأنف الناقة الذَّنبا

وكان بنو نُمير أشراف قيس فقال فيهم جرير:

فغض الطرف إنك مـــن نميـــر فلا كعبـــاً بلغـــت ولا كلابـــا

فما بقي من نميري إلا طأطأ رأسه وأصبحت تلك القبيلة مثلاً، حيث قال حبيب مشبهاً بها:

فسوف يزيدكم ضعة هجائي   كما وضع الهجاء بني نمير

وقال آخر:

توعدني لتقتلني نمير   متى قتلت نمير من هجاها

وكفى بالشعر فخراً أن يكون من خيرة جند النبي _ عليه الصلاة والسلام _ إذ يقول لحسان بن ثابت شن الغارة على بني عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام في غبش الظلام وقد قال (صلى الله عليه وسلم) أيد الله حسان في هجوه بروح القدس وكفى به فضلا أن يكون من أحسن الوسائل لدى المصطفى عليه الصلاة والسلام وكل مطلع على أخبار جهاده يعلم يوم أن نزل (بالأثيل) وأمر علياً فضرب عنق النضر بن الحرث بن كلده فرثته أخته بقصيدة مؤثرة سمعها النبي فقال لما بلغه الشعر لو بلغني قبل قتله ما قتلته.

وبينما النبي (ص) يوم حنين يميز الرجال من النساء الاسارى إذ وثبت إحداهن وأنشدته شعراً فوهبهن بعد سماعه أرواحهن وأعطاهن الأنصار ما سلبوه منهن.وحسب الشاعر بصناعته فخراً أن يصفها النبي (عليه الصلاة والسلام) بأن منها الحكمة ، والله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو

الألباب، والحمد لله نشأت في الحياة الدنيا فوجدت من أمدني بغيث فضائله وأرواني من بحر معارفه ألا وهو (والدى الكريم) أسكنه الله جنات النعيم ، فشغفت من حين اشتغالى بالعلوم بنظم الشعر، وما برحت أنظم في كل مقام ما يناسبه حتى أشار على خليل ، أعرف بما في ضميرى من كل خليل وأخبر الناس بما انطوت عليه سريرتى بأن أجمع مما نظمت سفراً أنشره بين ذوى الفطنة والأدب خصوصاً والإنسان إبان شبابه يريد أن يرى حسنة له تنشر وكلمة طيبة تذكر وسيرة حسنة بين الناس يدخر كل ذلك مرآة إذا هرم يرى فيها ماضى شبابه وما كان فيه، وقد رتبته أبواباً كما سترى وأودعت في كل باب ما تقر به عين القارئ المهذب

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

المؤلف

محمد يونس القاضى

(١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م)

ترجمة المؤلف

تفضل علينا حضرة الكاتب المقتدر والأخ الصادق (السيد أحمد حواء) فكتب لنا شيئا عن ماضى حياتنا ننشر له ما كتب مع الشكر الجزيل قال السيد الجليل:

(هو محمد بن يونس بن أحمد الملقب بالقاضى ، وُلِد بمصر قبيل عصر يوم الثلاثاء ٢٤ شوال سنة ١٣٠٥هـ و ١ يوليه سنة ١٨٨٨م وفى هذا اليوم السعيد رفعت الأعلام المصرية على المحافظات والمديريات بأمر من الخديو السابق وهو فأل حسن وكان حضرة والده فى تلك السنة قاضياً شرعياً فآثر الاعتناء بتربيته فى مصر على منصبه فاستقال.

ولما بلغ صاحب الترجمة من العمر تسعة أشهر امتنع عن الرضاع بسبب قروح ظهرت فى فمه ، وكانت حياته متوقفة على أن يمتص من ماء العنب ما يكفيه وعالجه طبيب كان صديق المرحوم والده فشفى بعد ثلاثة أشهر ،ولكنه لم يقبل ثدى أحد بعد شفائه وكان طعامه إذ ذاك أصناف المربات وقطع البطيخ وما أشبه ذلك.

ولما بلغ السنتين وأشهر أخذ يتدرج على المشى عادة الأطفال وكلفت بحراسته خادمة زنجية وكان لا يمشى إلا أمام باب الدار.

وكان أمامه مكتب بسيط فكان يخرج من البيت فيجلس فيه فاعتاد الذهاب إلى ذلك المكتب الذى تعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة وقد وهبه

الله حافظة قل أن يوجد مثلها إذ كل ما يفقه معناه يؤديه بحروفه في أي وقت سألته.

ولما بلغ السابعة من عمره عهد والده إلى خاله أمر تربيته واشتغل بالقضاء الشرعي في محكمة الواحات الداخلة.

وكان غياب أبيه عنه باعثاً له على أن يقرأ رسالاته ويحفظ ألفاظها وحين أن بلغ التاسعة نقل والده إلى محكمة أبي قرقاص(١) ، فألحقه بمكتب هناك تعلم فيه مبادئ الحساب والخط وحفظ نصف القرآن الكريم ،كل ذلك في سنتين ولم ينقطع يوماً من مكتبه بلا سبب فبرهن بذلك على ميله الغريزي إلى التعلم.

ولما بلغ الثانية عشرة سنة نقل والده إلى محكمة (أبي تيج) الشرعية وهناك التحق بالمدرسة الخيرية فدرس فيها ما يدرسه كل تلميذ في المدارس الابتدائية ولكنه كان يميل إلى الرياضة والنحو أكثر من غيرهما في العلوم.

ومن عرف قدر اهتمام والده به لا يستغرب أن قلت كان يجيزه على حفظ كل قطعة من منظوماته فقد كان شاعراً أديباً ومؤدباً حكيماً ولولا خوف الإطالة لأثبت شيئاً من جليل شعره.

وكانت أفكار أبيه لا تطمح إلا إلى أن يصير شاعراً فصيحاً وأديباً حكيماً مثله ، مكث صاحب الترجمة في تلك المدرسة سنة واحدة وفي

---

(١) مركز يقع ضمن محافظة المنيا بجنوب مصر.

ابتداء السنة الثانية اختبره أبوه فيما حفظ من القرآن الكريم فوجـــده لا يحسن حفظه جيدا.

وكان والده الكريم من أحرص الناس على كلام الله القويم وسُنة نبيه الكريم ، فالتزم أن يسكن النخيلة وهى موطنه الذى نشأ فيه وظل يتردد على المحكمة صباحاً ويذهب إلى النخيلـــة ([١]) بعـــد انقضـــاء الجلسات لأنها بلدة لا تبعد عن (أبى تيج) غير نصف ساعة.

وفى النخيلة حفظ صاحب الترجمة كتاب الله القويم ، وكان حينئذ يبلغ الرابعـــة عشرة سنة فجاء به والده إلى الأزهر بعد أن أملى عليه دروساً فى الفقـــه والنحو وتركه فى منزل خاله ، بعد التحاقه تـــأبط محفظته عادة طالبى العلم الشريف وقصد درس (الكفـــراوى) فـــرأى الشيخ يقرر ما هو عارفه من قبل فعاد إلى مأواه موقناً أن كل النحـــو ما يقوله الشيخ وقد عرفه وكذلك الفقه.

ومن ذلك الحين ترك الاشتغال بالعلوم واشتغل بتجويد كـــلام الله القويم ، وقد مرت عليه سنة ضاع فيها ما كان عالماً به مـــن النحـــو والفقه ، وفى أول السنة الثانية رأى من جاء معهم انتقلوا إلـــى أرقـــى مما كانوا يدرسونه فدبت فى عروقه سلاف الغيرة واشتغل بجد ونشاط حتى فاق من كانوا قبله بسنين.

[١] . قرية تقع بمركز أبوتيج فى محافظة أسيوط بصعيد مصر

ولما أتم دراسة القطْر وهو الكتاب الرابع فى النحو أخذ يعالج قرض الشعر فسهل معه حتى حضر مؤلفا بن عقيل فأصبح نظاما وكان عمره سبع عشرة سنة.

وما زال يواصل ليله بنهاره فى تحصيل العلم خصوصاً علم المعانى والبيان والبديع والمنطق وآداب اللغة والعروض حتى أصبح شاعراً بالمعنى الصحيح وكاتباً ناثراً وخطيباً مؤثراً ، ومن يطلع على مقالاته ومؤلفاته يكفنا مئونة التعب فى تعدادها فقد تحققت أمانى والده الكريم . والآن صار لهذا الأستاذ الفاضل ذكر يغنى كاتب الترجمة عن سرد معلومات. ومن ير الأستاذ فى فصاحته وبلاغة عبارته ورقة شعوره وشريف إحساسه وطاهر وجدانه ومكارم أخلاقه لا يشك فى أن هذا الشبل من ذاك الأسد

وفى ٥ فبراير سنة ١٩٠٩ توفى والده وهو قاض فى الواحات الداخلة أسكنه الله فسيح جناته ، وكان الأستاذ وقتئذ يبلغ اثنتين وعشرين سنة نسأله تعالى أن يطيل فى بقائه ويكثر من مثله كى تتمتع مصر بأبنائها وترقى أوج السعادة.

وعلى ما ترى من العظمة عند كل شاعر تراه أخضع الناس إذا تذكر جبروت ربه ، وهاك أعظم الأدلة إذ قد ترى أول أبواب هذا الديوان الجليل وما قاله هذا الأستاذ النبيل).

الباب الأول

فى التضرع والمناجاة والتوسل

قلت متضرعاً إلى الله جل وعلا:

إلهي تجلت فـــي سـماء رجـائي　　　شموس الأماني حيث زاد رجـائي
وشمس الأماني نورهـا متزايـد　　　تقـرب مـا ينـأى بغيـر عنـاء
فحقـق إلهـي منيتـي وأمـدني　　　بفضلك يـا مغنـي وخيـر عطـاء
فما زلت عبداً خاضـعاً ومسـلماً　　　لك الأمر لكـن لـم أكـن بمـراء
ولست أرى إلاك يا رب راحمـا　　　ولـم أرج إلا الله عنـد بلائـي
وإن كان ذنبي قد تعـاظم قـدره　　　وأنـذرني بالويـل جـم شـقائي
وقد كال لي دهري ولم يك مقسطا　　　وحملت وزرا في زمـان صـبائي
فها أنا في شرخ الشباب وماهوته　　　نفسي نـرى فـي جفـوة وتنـائي
وهذا مشيبي قد علا الرأس هيبـة　　　وقد زاد في الأسحار طول دعـائي
وإني اتخذت الزهد من بعد توبتي　　　وشاحي وطيـات الوفـاء ردائـي
وعلمي مصباحي وفعلـي نـوره　　　ونسكي طريقـي والـدليل وفـائي
وخوفي أنيسي والمسامر طـاعتي　　　ونفسي عـدوي والحبيـب حيـائي
وكاسي مناجاتي وخمري تضرعي　　　وصفوي ملامـي والنـديم بكـائي
وعضي بناني حسرة باي مجلسي　　　وعودي زفيري والنحيـب غنـائي
ولقياك خمـاري وتلـك اتخـذتها　　　لعلـي بهـا أنجـو نهـار لقـائي
فإن تعـف عنـي منـة وتكرمـا　　　فعفوك مرجـوي وأنـت رجـائي

وقلت مخمسا ومناجيا:

رباه إني ضعيف خانني الجلَدُ　　　وإن قلبي بنار الشوق متقد

وحيـــن حـــل بـــى التسهيـــد والكمد   قصدت باب الرجا والناس قد رقـــدوا

وبت أشكوا إلى مولاى ما أجد

قضيت ليلى ونفسى فى محاســـبة   عما جنته ولما كنـــت ذائقـــة

ناديت رب البرايا فـــى علانيـــة   وقلت يا أملى فى كـــل نائبـــة

ومن عليه لكشف الضر أعتمد

اقبل دعائى فروحى أنت ترحمها   والوجد يوجدها حيناً ويعـــدمها

لذاك جئت وحالى لست أكتمهـــا   أشكو إليك أموراً أنت تعلمهـــا

مالى على حملها صبر ولا جلَدُ

والنفس صـــارت لشـــدى الزهـــد   وأصبحت فى ثياب الخوف رافلـــة

راضـــــــــــــــــــــــعة   وقد مددت يدى بالـــذل خاضـــعة

فجئت أرجو لها عفـــواً ومغفـــرة

إليك يا خير من مدت إليه يد

فاقبل رجائى فليست تلك عاتيـــة   إذ قد تبيت على ما فات نادمة

وقد سعت نحو باب الجود سائلة   فلا تردنهـــا يـــا رب خائبـــة

فبحر جودك يروى كل من يرد

وقلت متوسلاً بسيد ولد عدنان (عليه الصلاة والسلام)

بمحمـــــد خيـــــر الـــــورى أتوســـــل   وإلى النعيم بحبه أتوصـــل

وبنـــــور شـــــرعته تنيـــــر ســـــرائرى فمحمد يهدى الـــورى متكفـــل

أســـرى بــــه جبريـــل واختـــرق العــــلا ليلا وطاف بها النبى الأفضل

لما عــــلا الســـبع الطبـــاق دعـــى بهـــا داعى الهنا هذا النبى المرسل

هــــذا الـــــذى جنحـــــت إليـــــه غمامـــــة ومن الحرور بفيئهـــا يتظلـــل

هــــذا الـــــذى نطقـــــت لديـــــه غزالـــــة وأتى البعير من الأســـى يتملمـــل

والجــــذع حـــــن لـــــــه ومـــــال تعطفـــــا وانشق نصفين الهــلال الأكمـــل

هذا الذى دلت عليه بشـــائر التــــــــــــــ ــــوراة والإنجيل إذ هــو أفضـــل

فــــــإلى النبــــــى الهاشـــــمى تحيتـــــى وعلــى المهــيمن أنتـــى أتوكـــل

الباب الثانى

فـــى المديـــح

قلت مادحا سيد الرسل (عليه الصلاة والسلام)مبتدئا بالغزل سنة الشعراء:

رشفت رضابا كالرحيق المسلسل … وكان رقيبي كالسجين المسلسل

ولي قد دنت تلك القطوف التي لها … كثيراً كثيراً ما بذلت توسلي

هي الشمس لولا حسن جيد ومعصم … هي البدر لولا لطف ذلك التدلل

ولا عجب أن قلت بنا سويعة … فذكرنيها من يود تنصلي

فقلت لقد شطت وشط مزارها … (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

وزرفت دمعي ثم هيج لي البكا … حنين إلى ذات الرضاب المعلل

وهمت بواد الحب صبا متيما … وفي وصف من أهوى أجيد تغزلي

وليس هيامي بالغواني كما ترى … ولكن هيامي بالنبي المكمل

محمد طه المصطفى خير شافع … وأول مخلوق وآخر مرسل

وقلت مادحاً النبي(عليه الصلاة والسلام) :

لست أشكو إلا إليك جفاك … فاحكمي في قضيتي بوفاك

وفؤادي به كلوم لحاظ … عالليني برشفة من لماك

ثم جودي بخلوة واعتناق … وامنحيني قبل الرضاب رضاك

وهنت أعظمي وصرت معنى … حيث دامت شقاوتي وهناك

آه من لوعة الهوى والتصابي … في فؤادي لها أشد حراك

أن أسرنا فليس أمراً عجيباً … أن يصير العشاق من أسراك

أو قتلتنـــا فأنـــت ذات لحـــاظ   كســـهام قســـيها حاجبـــاك

منيتّى منيتّى أيــا نــور عينـــى   ليس يثنى أخا الهوى عن هــواك

غير حب النبـــى خيــر رســول   وحيــه جبرائيــل خيــر مــلاك

هو طه الشــفيع يــوم التنـــادى   ومجيرى مــن العنــا والهــلاك

صلِّ ربى علــى النبــى وسـلم   ما شدا الأيك فوق عــود الأراك

وقلت:

ألا فاسقنى يا صاح خمرة ذكـره   لعلــك تشــفى علتـــى وســـقامى

فإن فؤادى ظل يدمى من الجوى   بوقـــع لحـــاظ لا بوقـــع ســـهام

أباح دمى ريــم أغــن مهفهــف   وقــد وهنــت إثــر الصــدود عظــامى

ولــم يحينـــى إلا مــديح محمــد   رســول البرايــا غــايتى ومرامـــى

هو القمر الهــادى لاقــوم ملــة   وفى الحشر يــروى ذا الشــفيع أوامـــى

نبـــى عليــه الله صــلى مســلما   فمنــى علـــى طـــه الحبيـــب ســـلامى

وقلت:

أدر كئوس الراح ... يا مطرب الأرواح
في مجلس الأفراح ... واملأ وزمزم كاسي
ويا نديمي غني ... وهات واقضي ديني
ويا عذولي عني ... فلست من جلاسي
لأن حبي عندي ... أنفاسه كالند
وذا رشيق القد ... يسبي غصون الآس
فما أجله رشا ... مع الظبي قد انتشى
أضاع قلبي والحشا ... بقده المياس
له لحاظ فاتنه ... وفي القلوب ساكنة
فلا العذارى آمنه ... ولا أبو فراس
عذب الرضاب واللما ... لريقه الشهدا نتمي
لكن حبي كلما ... أطلت في ايناسي
يهدي إلي ريقا ... أخاله رحيقا

منه فلن أفيقا ... مادمت أهوى القاسي
وحين كان الساقي ... لم أدر من أشواقي
أريقه الترياقي ... أم خده في الكاس
تشابه الأمر إذا ... علي قتيل أوخذا
من ريقه يا حبذا ... لو يخمدن أنفاسي
بحب طه الهادي ... بدر الهدى النبراسي
صلى عليه الله ... وإنه الأواه
لولا النبي لولاه ... ما كان خلق الناس

وقلت مادحاً أمير المؤمنين السلطان (محمد رشاد):

قد بدا فى العلا هلال رشاد   فأعار الدستور نور رشاد
وأضاءت به الممالك حتى   أصبح الشرق فى سما الإسعاد
ملك عادل رحيم مطاع   ذو وقار وذو نهى وسداد
خير من أحيى فى الحياة شعوراً   ورقيا لدى جميع العباد
ملك قد وفى الحقوق فوافاه   سعود من طارف وتلاد
دولة الترك أصبحت فى نعيم   يا أخا المجد ما له من نفاد
ثم أضحت بالخامس اليوم ترقى   وهى كانت فى دولة استبداد
وغدا أهلها أهلة جد   فى حماهم داعى الفلاح ينادى
لا تضلوا عن الصواب فأنتم   يا أولى الأمر فى زمان رشاد

وقلت مادحاً (عباس باشا حلمى الثانى) خديو مصر:

يا مصر تيهى بالخديوى على البلا   د مدى الزمان فليس يلحقك البلا
هذا أمير مخلص لك فازدهى   إذ قد تخير ترب أرضك منزلا
فغدوت كالهيفاء ثغرك باسم   والنيل من عدل الأمير لقد حلا
لولاه لم نرق العلا ومن افترى   إفكا على مولى الملا وتقولا
فكمنكرى قمر السماء لعاهة   إذ قد بدا قمر السماء مكملا

عــــذرا إذ قصـــرت فيـــه مـــدائحى   فلقد غدا بـــين الملـــوك مـــبجلا

وإذا أقـــر أولـــوا الجحـــود بفضــــله   لا خير فى نظـــم الكـــلام مطـــولا

وقلت لحضرة الفاضل قاضى الإحالة ونشرتهن الجرائد:

أيا رب القضاء بـــأرض مصـــر   لقد أحببت فى مصر العدالـــه

فقد برأت مـــن ســـجنوا اتهامـــا   وأظهرت الرويـــة والأصـــالة

فقلت إذا مـــع الحمـــد ارتجـــالا   لقد أنصفت يا (قاضى الإحالة)

الباب الثالث

فـــى التهـــانـــــــى

قلت مهنئاً رجال الدولة العلية مؤرخاً مضى عام على الدستور، إذ قلت حينما كنت بحديقة الأزبكية أنظر ذلك المهرجان وقد نشرته جل الجرائد اليومية :

رأيت بمصر أعلاماً تقـام	تشـابها الأسـنة والسـهام
وروض الأزبكية فى إزدهـاء	سجعت به على الغصن الحمـام
وغنى أيكه فرحـا وبشـرا	وقال إذا على التـرك السـلام
فهم فى مثل هذا اليوم نالوا	من السلطان ما شاءوا وراموا
وحاز المجد والعليا نيازى	وأنـور ذلـك البطـل الهمـام
مدى الأيام فاليحيى رشـاد	وجنـد الدولـة القـوم الكـرام
وغنى صادح البشـرى وأرخ	وقال مضى على الدستور عـام
سنة ١٩٠٩	١٣٧ ٨٥٠ ١١٠ ٧٠١

١١١

وقلت مهنئاً حضرة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش مؤرخاً تقليده وسام الحرية وقد نشره اللواء فى حينه:

عبد العزيز وأنت سيد من رأت	عينى بمصر وناصـر أنصـارها
حجبوك مسجونا ثلاثـة أشـهر	عن أهل مصر ليرهبوا أحرارهـا
تالله ما سـجنوا الشـعور فإننـا	فئة غـدا ذاك الشـعور شـعارها
ولتلـك أمتنـا أمـام شـعوبهم	أهدتك فـى تاريخهـا (تـذكارها)
	سنة ١٣٢٧

وقلت مهنئا صاحب العزة محمد بك موسى بعودته من أوربا مؤرخا (٢ القاضى):

بزغت بدور الـود أم آب الصـفا	وصفت كئوس الأنس أم وقتى صـفا
أم عاد لى بشرى وواصلنى الذى	من بعده صار الفـؤاد علـى شـفا

أم نلت ما أرجوه أم جاء الهنا … ء وأقبل الإسعاد يا آل الوفا
أم لاح فى الوطن العزيز هلاله … أم حل فيه ليثه وبه اكتفى
أم جاءه مولى الأنام (محمد … موسى) سلالة ماجد بل ذو اقتفى
هو ذلك الحبر الذى من جوده … عض البنان حسوده وتأفف
أمحمد حمدت حيث مديحكم … فرض ومدح سواكم لن يؤلف
ماذا أقول وأنت بحر زاخر … والبدر أنت وهل لبدر اختفا
أم كيف يدرك كنه وصفك شاعر … ولدى المكارم أنت شبل المصطفى

مولاى خذ منى القصيد وإنما … تهتز تيهاً كى تزف الأحرف
تهتز تيها أما أوربا فقد … تبدى اشتياقا للملا وتلهفا
فبمثلكم آداب أوربا ارتقت … أما السعود بكم فأضحى مشغفا
إذ عند أو بتكم أقول مؤرخا … بزغت بدور الود أم آب الصفا

سنة ١٩٠٨ … ١٤٠٩ ٢١٢ ٤١ ٤١ ٣

٢٠٢

وقلت مهنئاً صاحب السعادة مصطفى باشا خليفة برتبة الميرميران الرفيعة:

أبعد دلالها تأتى عطوفه … وتأوى حصن قرم ذى عطوفه
وتلبس فى الحما من بعد نأى … وبعد نفورها تمسى أليفه
فما أحلى الغزالة حين تدنو … وتصبح بالأسود هى الشغوفه
كما أبصرت رتبة المعى … أتت شهما له نفس شريفه
همام سيد حسن السجايا … وذلك مصطفى باشا خليفه

عميد نخيلة من قد كساها ... بصائب فكره حُللا لطيفه
وألبسها من العلياء ثوباً ... قشيباً والقرى لبست شفوفه
فأضحت بينهن تميس تيها ... وكانت قبله بلدا أسيفه
وذو بطش مع العاتين لكن ... أخو لين مع الفئة الضعيفة
هو الكهف الذي تأوي إليه ... أسود وغى مواطنهم مخيفه
هو البدر المضئ على البرايا ... هو الروض الذي أدلى قطوفه
وفي البلد الحرام أقام عدلا ... ومن رهط الضلال هدى ألوفه
وجاء إلى (نخليته الخديوى) ... (أمير بلادنا وغدا أليفه)
إذا ما جاء في التاريخ هاد ... ينافث مصطفى باشا خليفه
سنة ١٩٠٩ ... ١٠ ٦٤١ ٢٢٩ ٣٠٤ ٧٢٥

وقلت مهنئاً حضرة الرياضى المتفنن خليل أفندى عرفى بعودته من المدينة المنورة مؤرخاً:

لقد زار في شعبان عرفي نبينا ... وأعرب عما في الضمير وبينا
فقد كان ولهانا بحب محمد ... شفيع البرايا سيد الخلق أزمنا
ولكنه في حبه ووداده ... كتوم لأسرار الهوى ليس معلنا
ومازال يدعو المصطفى لزيارة[1] ... إلى أن أتى طه وزار أخا الضنى
فأصبح مشتاقا وللدمع ساكبا ... ومدمعه يا صاح نم وأعلنا
فقال إذاً رد الزيارة واجب ... وليس الذي يلقاه ذو الوجد هينا
ووجه وجه العزم شطر مدينة ... بأنوار طه ذلك الشطر زينا
وسار خليل قصده روضة النبي ... وعن عزمه عرفي أخو الوجد ما انثنى

---

[1] معنى زيارة النبي (صلى الله عليه وسلم) له أنه رآه مناماً.

وما زال فى بحر وبر مسافرا	إلى حيث نال الأنس والصفو والهنا
إلى حيث صلى ركعتين بجامع	به صادح الإسلام قام مؤذنا
إلى حيث يدعو عند منبره الذى	يكاد يجيب السائل المتقننا
الى حيث زار المصطفى خير مرسل	ومن روضة الهادى الشفيع لقد دنا
فسلم تسليم المشوق وقال يا	حبيبى لقد جئناك إذ كنت قصدنا
سعينا ولا نرجو سوى العطف منه	ومن نورك الوضاء نرجو التيمنا
ولاحت إلى الصديق لفتته التى	بها استأذن الهادى البشير ليأذن
ونادى أبا بكر أتيتك هائما	فكن لخليل عند طه ممكنا
ويا عمر الفاروق لازلت ناصرى	إذا اشتد خطب يا معزز ديننا
ويا صاحبى خير الأنام محمد	ويا من غدوتم للتكرم معدنا
أعينا على قرب المزار خليلكم	وكونا لعرفى داعيا ومؤمنا
فقال لسان الحال بشرى لزائر	وطوبى لمن شد الرحال وأمنا
فلا بد يلقى فى الحياتين رفعة	وزادا على هذا الدعاء وأمنا
وفارقهم بالجسم والروح عندهم	وسار إلى سكنى البقيع تيمنا
وحمزة والصحب الكرام أتى لهم	وكل شهيد زاره متيمنا
وتسع ليال قد أقام لديهمو	بنور هدى طه يمتع أعينا
وسار إلى أرض الشام ميمما	ومن معه حيفا وفى العود أحسن
ثلاثة أيام أقام بحيها	ومنها إلى يافا فنال بها المنى
إلى المسجد الأقصى توجه واغتدى	خليل بإبراهيم ذى القرب مقتنا
وزار خليل الله أكرم به فتى	تمشى إلى نابلس لا يعرف العنا
وزار جميع الأنبياء وقد غدا	ببور سعيد آخذا فيه مسكنا
ومهما تناءى عن أهله وصحابه	فإن له فى مصر حصنا محصنا
فقد عاد بعد النأى والبعد سالما	لمصر فأكرم صاح بالقطر موطنا
وحين بدا فى مصر بازغ بدره	أضاءت ربوع القطر من ذلك السنا
وفى روضة الأفراح بلبل سعده	بأوصافه الغراء قام ملحنا
وقد حال بعدى عن حما مصر أن أرى	خليلى وأحظى بالمسرة والهنا
فقد كان قصدى أن يقال ابن يونس	أجاد التهانى يوم جاء وأحسنا
وقام خطيبا حيث قال مؤرخا	لقد زار فى شعبان عرفى نبينا
سنة ١٣٢٨	١٣٤ ٢٠٨ ٩٠ ٤٢٣ ١١٣٣٦٠

وقلت مهنئاً الأخ سيد أفنـدى الحريـرى ومؤرخـاً مـيلاد كريمتـه (نعمات):

شمس المسرة قد بدت وقد ازدهت   مصر البلاد وعاد باهر مجدها
والقطر بعد الجدب أصبح مخصبا   وكذا العلا أضحت تبر بوعدها
إذ فى جمادى قال سيد أرخوا   نعمات وافتنى بأبدع سعدها
سنة ١٣٢٧   ٥٦١ ٥٤٧ ٧٩ ١٤٠

وقلت مهنئاً ومؤرخاً:

بلادى مذ توشحت المعالى   وقد بزغت بها شمس السعادة
غدوت أقول للإسعاد أرخ   على بعلمه أخذ الشهادة
سنة ١٩٠٤   ١١٠ ١٤٧ ١٣٠١ ٣٤٦

وقلت مهنئاً الشيخ محمد عامر ومؤرخا ميلاد ابنه عمر:

البشر ساد وقد زان الورى عمر   ومن ضياه تضئ الشمس والقمر
لوضعه رفعت أعلام وانتصبت   رايات وانخفضت من رفعها زمر
بوضعه عيد فطر كان مزدهيا   وقد غدا المجد بالمولود يفتخر
أيا بن عامر يا من طاب محتده   ومن بمحتده قد فاخرت مضر
أنا بن يونس جئت اليوم مفتخرا   أهديك نظما تحاكى نظمه الدرر
لك الحبور وللناس السرور به   وللأعادى شواظ الحقد يستعر
أما المعالى فنادتنا مؤرخة   البشر ساد وقد زان الورى عمر
سنة ١٣٢٣   ٥٣٣ ٦٥ ١١٠ ٥٨ ٢٤٧ ٣١٠

وقلت مؤرخاً ميلاد ابنه عامر:

دعانى ببشرى أن عامر عامر   وزيدا سرورا فهو زاه وزاهر

هو البدر إلا أنه غير آفل ... وفي وصفه أنى يوفيه شاعر
محمد فاهنأ وافتخر فبوضعه ... لقد أكمد الشانى وضل المكابر
وناداهما المجد الأثيل مؤرخا ... دعانى ببشرى أن عامر عامر
سنة ١٣٢٢ ... ١٣٥ ٥١١ ٥١ ٣١١ ٣١١

وقلت مؤرخا ميلاد محمود حمدى نجل حسين أفندى سيد:

يا صاح لما رأيت الكون مزدهيا ... وظل عيش الذى يهوى الهنا رغدا
وكنت فى كرم مجد فيه قد غرست ... أشجار عز بها طير السعود شدا
سألت عن ذلك النور المضئ لنا ... بغير مصباح إذ لا ينطفى أبدا
غنت بلابله قالت مؤرخة ... محمود حمدى أضاء الكرم حين بدا
سنة ١٣٢٨ ... ٩٨ ٦٢ ٨٠٢ ٢٩١ ٦٨ ٧

وقلت لسرى دعانى لمشاهدة دار اشتراها وأراد منى تهنئة وذكر لى كيف اشتراها وطلب تاريخاً لها فلما دخلناها وكنت أعرف مالكيها ولما عرفت قدر الثمن رأيتهم اغتصبوا منه مبلغاً جسيما فقلت ونحن وقوف قبل أن نجلس:

يا أحمد الناس استمع ... ولعله يرضيك
حقا أخذت الدار من ... قوم ولم يخشوك
إذ جئتهم فى ليلة ... وبصحنها عشوك
وابتعتها منهم إذن ... تاريخه غشوك
سنة ١٣٢٦

وقلت مهنئاً الشيخ يس محمود مؤرخاً وضع نجله أحمد:

زهى ربع الجلال بوضع أحمد ... ونلت مآربى فالله أحمد

وغنى بلبل السعد ابتهاجا ... بأى دونها الدر المنضد

وقد صدح الهزار بأى فخر ... وفى روض الهنا القمرى غرد

وأغصان النخيلة يا نديمى ... لقد ماست بميلاد الممجد

ولا عجب فهذا شبل ليث ... تخر له كبار الأسد سجد

وما من عاقل فى الناس إلا ... تهلل واحتسى طربا وأنشد

له ما قلت فى التاريخ بدءاً ... زهى ربع الجلال بوضع أحمد

سنة ١٣٢٧ ... ٢٢ ٢٧٢ ٩٥ ٧٨٧ ٥٣

إلى هنا ونقتصر على باب التهانى حيث يكفى من القلادة ما أحاد بالجيد.

الباب الرابع

فـــي الـــوصـــف

قلت أصف حادثة غرامية:

وفى ليلة شاهدت فى مصر يا فتى	فتى وفتاة عند آونة السحر
فتلك أطلت من نوافذ قصرها	وذلك على أرض المغازلة استقر
وصار يناجيها وظلت تجيبه	كأنهما شمس يغازلها قمر
وما برح المسكين يبدى انعطافه	وما برحت تدعوه للأنس والسمر
إلى حين شاما الفجر يزهو فأيقنا	بفرقتهم حتما ولم يبلغا وطر
وسار فأما الدمع يا ويح عاشق	فما زال منهلا وقلبهما انفطر
وقد علما أن لا مفر من النوى	وأنهما من هول ذاك على خطر
فقلت وقد أعجبت ممن رأيته	عذا غرضا للعشق والشوق والسهر

أهل من مجيب للذى جاء سائلا	فقال لسان الحال والقول يدخر
هما وقفا حينا وسارا بلوعة	فقلت له إن كان ما قلت ذا أثر
فلا ينبغى للبدر إدراك شمسه	ولا ينبغى للشمس أن تدرك القمر

وقلت واصفاً حادثة غريبة:

فى ضريح الحسين أبصرت قوما	من خليط معمم وأفندى
وفتاة تقنعت بنقاب	مزقت ذاك للخلاعة أيدى
عند باب المخلفات أرتنى	شمس إحسان لا محيا لهند
فاستمالت وغدا لمد يديه	نحوها ثم قال انك قصدى

اقــــرأ الســـورة الطويلـــة لكـــن ... بعد أخذى (يا ست نقدى وعــدى)
قالت اخسأ إن كنت أنـــت فقيهــا ... حارب الـــدين ناكثــا كــل عهــد
قال إنى سؤول غـــرش فقالـــت ... لست أعطـــى إلا لعمـــرو وزيــد
قال جودى على الضرير بغرش ... قال اعلـــم بـــأن ذا لـــيس يجـــدى
قال بالعنف آخذ الغرش غصـــبا ... قالـــت الخـــود لـــى علـــى بجنـــد
فـــأتى جنـــدى وأنـــذر هـــذا ... وتنحـــت ووجههـــا ظـــل ينـــدى
وإلى القسم سيق وحش ضـــرير ... لابســــــا للهــــــوان أردأ بـــــرد
وكـــذا آكـــل ثـــم جـــاء يجنـــى ... حـــنظلا مـــرامن مواضـــع شـــهد

وقلت مرتجلاً حينما دعانى قوم بينهم شاب جميل الطلعة وكانوا على إفريز الموسكى:

يا هـــلالا علـــى الأديـــم تـــدلى ... من سماء الدلال ضـــيعت نســـكي
وأحاطـــت بـــه نجـــوم فأمســـى ... قمـــرا باللحـــاظ الحســـن فتكـــى
مـــا ســـمعنا إن الهـــلال بلحـــظ ... يوقع الصب فى ارتبـــاك وشـــك
غيـــر هـــذا وقـــد أقـــول لـــذلى ... يا ضيا العين قد أضأت الموســـكى

وقلت قصيدة منها:

وفـــى يـــوم لـــدى كيـــوم عيـــد ... جلست بضفة النيـــل الســـعيد
وصرت من المسرة وانشـــراحى ... أحيـــى كـــل ذى رأى ســـديد
وأنطق بـــالقريض وزاد أنســـى ... كأنى فـــى منادمـــة الرشـــيد

وقلت بعد أن كلفنى بنظمها فاضل أديب:

هيفاء ماست كغصن البان والآس ... وإن تلك لصـــرعى الحـــب كالآســـي

سعت إلي وجنح الليل في غسق   وكنت في مأمن من كل خناس
فقلت شمس على غصن تواصلني   وما سمعنا بغرس الشمس في الآس

وكيف تسعى شموس الحسن في غسق   قالت ألم تدر أني خير نبراس
واستنطقت عودها لانت معاطفه   ولا عجيب يلين العود للقاسي
أخذته فشكالي حر لوعته   فقلت أنت إذن من خير جلاسي
أسمعتها نغمة قالت لرقتها   أعد فقلت على العينين والراس
ثم انثنت وهي في أنس وفي طرب   تدعو أخا الوجد قم ثم اعطني كاسي
أعطيتها كاستي جادت بمبسمها   إذ كان كاسي وما في ذاك من باسي
وسلمتني اللمي أمتصه وإذن   قد أطفأت بلماها حر أنفاسي
رشفته سلسبيلا جل صانعه   إني له طول دهري لست بالناسي
والخندريس شربناها معتقة   من عهد آدم حتى عهد عباس
ثم انثنت ولسان الحال ينشدنا   هذا المليحة أبدت خير إيناسي
تهتز تيها ولكن تنثنى طربا   من نغمة العود أم من نشوة الكاس

وقلت أثر رمد لحقني:

ولما رأوا في العين حمرة أشفقوا   عليَّ وقالوا تلك ذات وقود
وما علموا أني نظرت إلى رشا   له وجنة قد زينت بورود
فأثر في عيني لهيب خديده   فلو أنصفوا قالوا لهيب خدود

وقلت أيضاً:

ولما رأوا في العين حمرة أشفقوفقلت   علي وقالوا تلك ذات وقود
لهم لم تنصفوا حيث أنني   نظرت إلى ذات الجمال ميود
وكان خديد الخود يزكو تسعراً   فأحدقت عيني نظرة المنكود
فصادف منها نار خد مرونق   فلو تنصفوا قلتم لهيب خدود

الباب الخامس

فـــى الفخـــر والحمـــاس

كان ودى أن أوفى هذا الباب حقه فأودع فيه كلما نظمت ولكن حال بينى وبين تلك الأمنية نظمى قصائد المظاهرات الأزهرية ويكفى من كل ذلك قصيدة جمعت بين الحكم والفخر ضارعت بها قصيدة معن بن أوس حيث قلت:

وذى رحم قلدته سيف نصرتى ... فحاربنى ظنا بأنى أحاربه
وأشعل نار الحرب بينى وبينه ... فأخمدتها بالسلم والسلم غالبه
وأهملته فى الناس يمشى كما يشا ... بعاتقة ملقى مد الدهر غاربه

وأحسنت لما نالنى بإساءة ... وإن كان هذا لا تفل قواضبه
ويقطع أعمار الليالى لشقوتى ... وإن نام حينا لا تنام عقاربه
ولو نصب المغرور لى فخ ماكر ... سيهوى بذاك الفخ والله ناصبه
يقابحنى جهراً ولم يخش لائماً ... وأستره حلما فكيف أخاطبهلما كنت
فلو كنت ميالا إلى البغض والقلا ... من أقصى البلاد أكاتبه
ولا عجب إن رام ذلى وشقوتى ... فتلك مراميه وهذى مآربه
على طول من الدهر إن عاش سالماً ... غراب الأسى بين الأقارب ناعبه
وأغضيت عين الصفح طبعاً على قذا ... وإن كنت محزونا دهته أقاربه
وأصبح بعد الصفح عن سوء ذنبه ... يعاتبنى جهلاً ولست أعاتبه
فلى قلم أصمى عن الفحش صامت ... وإن كان سيالا كثيراً كتائبه
ولى نفس حر لا ترى الموت ذلة ... إذا ظل بغض الأهل تهمى سحائبه

ولــــو أننــــى آخذتـــــه بفعالـــــه لضاقت عليه فــى العبــاد مذاهبــه
ومازلـــــت غفـــارا أدارى عيوبـــه أقــول اتبــع بــرا هــداك رُغائبــه
وعلمتــه بــالحلم والرفــق والحجــا صــــنائع ود ضـــمنتها ترائبـــه
ومـــا زلـــت صــباراً أداوى كلومـــه إلى أن تـداوت باتبـاعى معاطبـه
وأصبح بين النـاس شـهما مـبجلا معطـــرة تتلـــى علينـــا مناقبـــه
وحفظته آيات صـدق بهـا ارتقـي وقال لعمـري نظـم الـدر ثاقبـه
ولما رأى صحبى أولى الود والوفـا أقــر بــأن الغــبن إنــى أعاتبــه
وأغرب شمس لا يرى الناس ضوءها ســفيه أجاريـــه ونـــذل أصـــاحبه

وقلت مخمساً:

على طلب العلياء ذو الضغـن ملبى فأعرضت عنه كى أرى من يودنى
فــلا تفهمــوا أن الغبــي أضرنـــى لقــد زادنـــى حبـــاً لنفسي أننى
بغيض إلى كل امرئ غير طائل

ولست الذى يرضـــى التملق والمرى ولا بالذى يهوى الكثيع من الورى
ولا مــن بسوق اللؤم باع أو اشترى فإنــى شقــي باللئـــام ولا ترى
شقياً بهم إلا كريم الشمائل

قصائد المظاهرات الأزهرية

قلت خاطباً فى حديقة الجزيرة فى محرم سنة ١٣٢٧

رب إنى دعوت قومى جهاراً ... فأجابوا عشية ونهاراً
واجتمعنا فقمت فيهم خطيباً ... غير أنى قلت البدار البدار
لو أردتم أن تظهروا بثبات ... وتصيروا لدى العدا أبرارا
فعدولا عن الدروس ولكن ... اشفعوه سكينة ووقاراً

لتنالوا مطالبا وتسودوا ... وتصيروا مدى المدى أحرارا
لو مددت اليمين مدوا يميناً ... أو مددت يسارا مدوا يسارا
هكذا شأن الأكرمين فجودوا ... بنفوس تفجرت أنهارا
قد أتى عالم كبير دعانى ... ثم قال ابتعد تجد لك جارا
أن بيت التظاهر اليوم رحب ... وغدا أخشى أن يضيق فعارا
قلت دعنا فنحن قوم كرام ... نبتنى المجد لا نريد افتخارا
فمضى عنى إذ أتى لشيوخ ... سألوه ما بينكم قد دارا
(قال إنى دعوتهم فعصونى ... وأصروا واستكبروا استكبارا)
ودعوت الكثير منهم ولكن ... (لم يزدهم دعاء إلا فرارا)
رحم الله أعظما دفنوها ... أوقدت بعدها بقلبى نارا
رحم الله مفتيا كان فينا ... بدر نصر أقام حينا وسارا
حينما مات اشتد حزنى وأضحى ... دمع عينى لنعيه مدرارا
إذ غدا بعده الوفا كسراب ... رحم الله من أفاد الديارا

وقلت هذه القصيدة الرائية التي لم يتحد رويها لضيق الوقــت ، وذاك غير معيب إذ ورد في معلقة امرئ القيس:

ألم يأن للطـــلاب أن يتظـــاهروا　　　ويحتشدوا أو بـــالحري يتضـــافروا
فقد فقدوا خير الحقوق وأســـلبوا　　　جميع المزايا كيــف لــن يتــأثروا
رجال الهدى بالاتحاد وجمعكــم　　　تقر عيــوني والعيــون النــواظر

***

مطالبكم أسمى المطالـــب فاعمـــدوا　　　لإتمامها عـــن ســـاعد الجــد شــمروا
وإن عدت الحاجات وامتـــد حبلهـــا　　　فـــلا تقنطـــوا يـــا قـــوم لا تضـــجروا
ألا ليت شعرى كيف لـــن تتعـــاونوا　　　على البـــر والتقـــوى أفيقـــوا تفكـــروا
بمطلبنا لا نرعـــوى عـــذل عـــاذل　　　فعبـــاس مـــولاكم بهـــا ســـوف يـــأمر
ولا عجب لو فاخرت مصر غيرهـــا　　　فروض المعـــالي والمعـــارف أزهـــر
قطفنـــا ثمـــار العلـــم إلا لنبيعهـــا　　　بـــبخس ولكـــن ذلـــك الـــدهر يغـــدر
شربنا حياضا للمعـــارف هـــا هنـــا　　　إذا لا تضـــــاهيها بحـــــار وأنهـــــر
ملكنا المعالى مـــن تليـــد وطـــارف　　　بمعجـــــزة القـــــرآن هـــــلا تـــــدبروا
فطـــــه نبـــــى الله أظهـــــر ديننـــــا　　　بقـــــوة هـــــذا الاتحـــــاد تـــــذكروا
بقـــوتكم تجـــرى الجـــداول أنهـــرا　　　وباســـمكم يحيـــى الوفـــاق وينشـــر

رشفنا رضاب المجد لا كحبيبة ... تصد وتنأى أو تصد وتهجر

فعار علينا أن نلين لخادع ... وعار علينا أن يقال تقهقروا

فلو وصلت أقوالنا أى دولة ... وفيها رجال ينصرون لينصروا

وقد سمعوا أنا تركنا دروسنا ... لنيل علانا هللوا ثم كبروا

وأيقن كل السامعين بنصرنا ... ولو كان بين السامعين كرومر

فماذا عليكم لو تركتم دروسكم ... لكى تصلحوا ما باد ثم تعمروا

أنا ابتغى أنا ننال مطالبا ... تخلد فى التاريخ أسمى وتذكر

انا أنتموا أنتم أنا فنصيحتى ... لنا ولكم أن لا نعود فنقهر

***

واوصيكموا بالجند خيرا فإنهم ... يقوموننا أن رام قهرى غادر

قصيدى عليكم القيت بتمامها ... ولست الذى يرتاح أن قيل شاعر

ولست بنظمي ابتغي سؤل سيد ... ولا بقريضى بينكم أتفاخر

فحسبى فخرا أن أقول ببدئها ... الم يأن للطلاب أن يتظاهروا

وقلت وهى أول ما ألقيت فى الأزهر:

دعني من الغيد واسمع آى تهذيبى ... فالدهر خير مجيد صنع تأديبي

واسمع وعى رشدى فى اليوم قبل غد ... واشدد يدا بيدي ينفعك تهذيبى

واحفظ وخذ حكما تبني بها أمما ... وانشر بها علما قد نلت مرغوبي

واطلــب بتــوأدة تجــزى بمرحمـــة   واعمد لمشيخة فـــى كــل مطلــوب
وارفع لمجلســها الأعلــى وحارســها   حتى تمارســـها تجـــزى بترحيـــب
لكن إذا ظهــرت غوغـــاءا وجهــرت   فتيانهم قهـــرت مـــن بعـــد تعـــذيبى

واحـــذر مخالفـــة أن رمـــت مكرمـــة   واترك مشـــاغبة فـــى رد مســـلوب
ثم اتـــرك الجند لا تسلك مسالكهـــــا   فالجنـــد كـــالأسد لا لكلب والذيب
إن الحكومـــــة إن رامـــــت محاربـــــة   بالجند تبـــدى أعاجيـــب الأعاجيـــب
واتكم من لهم هـــام العـــلا خضـــعت   فالضـــــد أولـــــى بتعنيـــف وتأنيـــب

وقلت:

ضـــاء الله يجـــرى فـــى العبـــاد   بـــلا شـــك إلـــى يـــوم التنـــاد
فهيـــا كـــى نشـــيد صـــروح مجـــد   بمجـــــــد واتفـــــاق واتحـــــــاد
فقلو شـــدنا صـــروح المجـــد ســـدنا   ويبقـــى الـــدين مرفـــوع العمـــاد

ســـنلبس للخطـــوب دروع لـــين   تقينـــا أســـهما لـــذوي الفســـاد
ونحيـــي مـــا أمـــاتوه بجـــد   فنشـــكر فـــى النـــواحى والنـــوادى
بمطلـــبكم وقـــوتكم ســـموتم   ســـمو الراســـيات علـــى الوهـــاد
فعـــار أيهـــا الطـــلاب إنـــا   نحـــل عـــرى لهـــذا الاحتشـــاد
بغوغـــاء وطـــيش أو مجـــون   وجـــبن أو عـــدول عـــن رشـــاد
فربحكمـــوا يعـــد إذاً خســـارى   متـــى عـــدتم بـــلا نيـــل المـــراد

إذا كنتم تركتم درس يوم ... فكم فئة تعيش بغير زاد

لتحيي بين أمتها وترقى ... وهذا لا يكون بلا اتحاد

وإن أغراكمو أحد بقول ... فقولوا دون ذا خرط القتاد

ولا ترجوا سوى الرحمن ربا ... فربي للمبرة خير هاد

وشيخ الأزهر المعمور أولى ... بردعكموا إذا جئت الأيادى

ولا فزعاً إذا كثرت جنود ... ولا غوغاء أن رحلوا بواد

لأن أميركم وخديو مصر ... سينظر فى المطالب بالسداد

ويقضى بالعدالة حيث عهدى ... بسدته المبرة للعباد

وها أنا قد نصحتكموا وأخشى ... بأن لا تنصحوا فيقول شادي

لقد أسمعت إذ ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

وقلت حينما جاء بعضهم ، ووقع من صغيرى الأحلام على أوراق يحملها وألقيتها فى جامع المؤيد وهى آخر خطب سنة ١٣٢٧:

أقول المضل كقول الرشيد ... وعيش بذل كعيش رغيد

ودر المقال كزيف الفعال ... وعبد الموالى كمولى العبيد

وورد الرياض كورد الخدود ... وحب الجمان كحب الحصيد

وثابت جأش كمعدم عزم ... ورأى ضعيف كرأى سديد

أجيبوا سؤالي وإلا فسمعا ... لقول حذام وشعر لبيد

علـــى م ســـألت وفيمـــا أطلـــت … كـــأن مـــا كتبـــت لـــدى عتيـــد
فأنا تركنـــا الـــدروس وصـــرنا … نبـــث الشـــعور نصـــون العهـــود
فجاءت ألوف وصـــرنا كجـيش … نراعـــى الســـداد ونرعـــى الأســـود
فقمنـــا خطبنـــا فقـــالوا ضـــللنا … ولمـــا احتشـــدنا أتتنـــا الجنـــود
بكل اختصـــار قصـــدنا همامـــا … لبيـــت الســـيادة خيـــر مشـــيد
وشيخ المعاهد من فـــى البرايـــا … رحـــيم عطـــوف رؤوف ودود
ولما اتبناه عنا لنيل الـــمطالب … غظنـــا وكـــدنا الحســـود

وشمت الدسانس تمشـــى كلـــص … يعـــاف الســـوار ويهـــوى القيـــود
وجـــاء برقعـــة إفـــك وزور … ومـــنكم يرجـــى ومـــنكم يريـــد
بأن تكتبوا اســـما فنبـــرأ مـــنكم … فيحمـــل عـــنكم صـــحائف ســـود
سهرنا الليـــالى فنلنـــا المعـــالى … وليس النعـــاس بشـــئ يفيـــد
والاتحـــاد نحلـــي زمـــاني … وجيـــد الـــدهور بـــدر نضـــيد
وأمـــا الخـــديوى أميـــر البرايـــا … فحفظـــاً لثـــوب النظـــام الجديـــد
وخوفا مـــن العاديـــات وقـــاكم … بجنـــد فـــأكرم بهـــم مـــن جنـــود
فعـــنكم أجـــاهر بـــين البرايـــا … وفـــيكم أتـــادى ببيـــت القصـــيد
ليحى الخديوى ليحى الخـــديوى … ليحى الخـــديوى بعمـــر مديـــد(أ هـــ)

وقلت خاطباً فى جامع المؤيد مودعاً عام سنة ١٣٢٧:

عفار بع ليلى يوم لا أنت هاجع … وزدت انتحابـــا إذ جفتـــك المضـــاجع

أم انصرم الحبل الذى كان بينكم ولا عجب إذ دأب ليلى التقاطع

بلى أن ليلى خلفتنى وقد مضت أردد طرفي نحوها وهو هامع

وما بكت العينان شوقا وإنما بكيت على ما أورثتنى الفواجع

ولا أنا إن بانت وشط مزارها كما بان هذا العام فى الناس جازع

فعام تقضى كان فى بدء خلقه لدى جميلا وهى للخير جامع

فأصبح يهدينى النكاية والأسى أصارعه حينا وحينا يصارع

إلى أن قضى بين البرية والدى وكل بلاء حم لابد واقع

ولم أنس ما قال الوشاة لشيخنا مقالا عن الحق الصراح لشاسع

فيا سيدى الشيخ الذى أنت عندنا أب راحم بر وللفضل جامع

أتاك شيوخ لا خلاق لمثلهم كما عاد مقروح الفؤاد المخادع

فلو قيل أنا حركتنا يد اللوا ونى إلى حزب من الناس تابع

(لعمرى وما عمرى على بهين لقد نطقت بطلا علينا الأقارع)

* *

فيا أيها الشيخ الجليل أعد لنا رقيا فإنى للإدارة طائع

إذا جاء عباس الأمير فقل له حججت ورب المصطفى لك رافع

أميرى أيا رب الندا أنت غوث من اذيق الضنا واستعبدته القوارع

وفى الأزهر المعمور من قد وعدتهم بنيل أمانيهم وأنك رافع

أمير البرايا ليس برقك خلبا ولكنه برق مع الغيث لامع

* *

ويا طالب العلم الصحيح نصيحة ... من المخلص القاضى فإنك خاضع
إلى أزهر الروضات سارع بفطنة ... فأنت بهذا الروض لاشك راتع
ولا تحدث الغوغاء إذ لست جامعا ... ولا حاصدا إلا لذى أنت زارع
ولا تبكين فى أسر عام قد انقضى ... فما العام والأيام إلا ودائع

وقلت مستقبلا عام سنة ١٣٢٨ وقد ألقيتها فى جامع المؤيد:

إن شوقى مع التلهف دلا ... أن من ابتغيه يحسن دلا
آه من ظبى أحور الطرف ناء ... عن عيونى لكن قلبى حلا
كم ليال سهرتها حيث أنى ... ضقت ذرعا والجسم منى اضمحلا
كم سنين انقضت أعلل نفسى ... ببلوغ المنى وما نلت إلا
وعده بالوصال والمطل دأبى ... يالريم أحب وعدا ومطلا

يا ندماى قد شربتم كئوساً ... وشربتم أمر من تلك قبلا
يا ندماى هل غدوتم سكارى ... أم صحيح القلب السليم اعتل
يا ندماى بدركم ما تبدى ... وهلالى ومنيتى ما أهلا
يا ندماى هل مناى دعاه ... للتنائى داعي الجفا فتخلى
يا ندماى ام مخافة واش ... أو رقيب أو عازلى قد أضل

يا نداماى هل بعيد شتاتى ... التقى بالذى تباعد أولا

يا نداماى هل لنا من حبيب ... غاب عنا بعد التواصل حولا

غير تلك المطالب المترتضيها ... كل من حاز فى البرية عقلا

تلك أقوال دونوها بطرس ... قبل كانت على المسامع تتلى

بأبى لو كان الغزال كهذى ... لرشفنا لماه نهلا وعلا

حجبوها عن العيون فقلنا ... علها فى حلى الإجابة تجلى

وخضعنا لأمر خير أمير ... خير من صام للإله وصلى

وانتظرنا نواله طول عام ... كان فيه الدعا عسى ولعل

ومضى العام فالسلام عليه ... أينما راح واستراح وولى

وأتى عامكم كضيف كريم ... مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا

فيه عود الأمير للقطر من أر ... ض الحجاز التى بها قد أحلا

فيه نرقى إلى العلا والمعالى ... حيث يعطى من ظل يطلب نيلا

أيها الإخوان استماعا لقولى ... فهنيئا لمن يعزز قولا

اننا الآن فى معاهد علم ... إننا الآن فى مقام المصلى

فلنكن حافظين عهدا مصونا ... طائعين الشيوخ إذ ذاك أولى
وسلام على خليل تأخى ... وأحب الوفاء والنكث مل
هل قدمنا من حينا لجمود ... واعتساف وللبطالة كلا
ما قدمنا إلا لعلم صحيح ... كثر العلم أخوننى أو قل
فمن العار والشنار لدينا ... لو نبدل بالعلم والحلم جهلا
يا أخا العلم لا تكن ذا جمود ... كيف ترضى بعد المعزة ذلا
ثم لا تأمنوا لقوم لئام ... قد أجادوا عند الإدارة عذلا
بعضهم يظهر النصائح لكن ... أن نأى عنك كان لاشك صلا
يا أخا العلم لا تخف من رقيب ... حيث شيخ الإسلام أكبر عدلا
يا أخا العلم كن سميعا مطيعا ... (فنعم فى الجواب أحسن من لا)

وقلت في مظاهرات سنة ١٣٢٨:

اخوتى اخوتى سلام عليكم ... وثناء منى وشكر جزيل
فلقد احييتم بمعهد علم ... لجنة فيها قد تحار العقول
قد أضاءت بكم وأشرق فيها ... بدر نصر لا يعتريه الأفول
لجنة أعربت عن الود فيكم ... حيث حيي فيها الخليل الخليل
أن هذى يدي إذا ساعدوها ... حيث إني إلى الوئام أميل
قد ربينا فى الأزهر المتسامى ... خير روض وهل لهذا مثيل
هو عندى كغادة ذات حسن ... ذو الضنى يصبو نحوها ويميل
أنا صب به محب معني ... غير أن الرقيب عزول

***

قرت العين بالسعيد رئيسا   وتباهت شبابنا والكهول
قد طلبنا مطالبا قبل عام   وظننا أن الزمان ينيل
طرحوها عاما كطرح نواة   ونوالى تلكم هو المأمول
انما رحمة الخديوى علينا   جعلتنا على الأعادي نصول
وغدونا نتيه بين البرايا   وننادى الأنام أين السبيل

وقلت:

أيا مجلس النظار ها نحن أمة   تريد رقيا لا تريد التأخرا
عرضنا عليكم بادئ الأمر سادتي   مطالب كيما تفحصوها وتنظرا
فعينتم من الخيرة القوم لجنة   لتفحصها والله يعلم ما جرى
وعدتم وماطلتم وتلك سجية   لغيركمو من لم يجيدوا التدبرا

***

وها نحن نسترضى أميرا محببا   له الآل فدى والخليقة والورى
أمير حليم عادل ذو مروءة   وللعلم يهوى أن يعيش وينشرا
أنلنا يا عباس فهى مطالب   ستبقى لنا فى الناس ذكرا معطرا
وأزهرنا روض العلا من سمائكم   غدا بين دور العلم يانع أزهرا

وباسمك تشدوا ورقة بتفنن ... ومن غيثك المدار أصبح مثمرا
بحق ولى العهد تمنح أهله ... مطالبهم كيما يزيلوا التأخرا
على أى حال نحن أبناؤك الأولى ... يرجون نيلا بعد عفوك فاغفرا

* * *

ويا شيخ هذا المعهدا رث لحاله ... فقد بات يبكى أهله متحسرا
وأنتم أيا أهل الإدارة ألبسوا ... قراراتكم ثوبا يخالف ما نرى
فهذى لدينا لجنة ذات حكمة ... وليست كما قالوا مفككة العرى
فلو زدتم عدلا لزادوا اطاعة ... ولو زدتم ضغطا لزادوا تفجرا
ويا طالبى العلم الذين ضربتوا ... عن الدرس أسبوعا وزدتم تذمرا
أقول لكم قول امرئ ذى نصيحة ... وخير كلام المرء ماليس منكرا
أقول لكم خلوا السكينة رائدا ... لكم وتحاموا طيشة وتطيرا
ولا تطفئوا المصباح فهو يضيئكم ... ويجعلكم أسمى البرية منظرا

* * *

يراعى سلاحى وهو خير مهند ... متى أصبح الأمر اليسير معسرا
ومن قال أنا مضربون تكاسلا ... علينا ورب البيت ذاك قد افترى
فمن يكن الاضراب غاية قصده ... فخير لهذا أن يموت ويقبرا
ولكننا قوم تركنا دروسنا ... وكل فتى منا أجد وشمرا

وكم من فتى خاوى العزيمة لم يزل … مصرا على أبعاده متنكرا
ويكتب فى تلك الجرائد أنه … برئ لئلا يخدعوه ويزجر
سأهمله إهمال ضيغم كاسر … لذئب عوى بين الحمى وتسترا
فيا ليت شعرى هل رأينا بلجنة … رئيسا وأعضاء لها لا ولن نرى
ولكن هذا الجمع أعضاء لجنة … تقدمها ترضى وتأبى التأخرا
نظمت لكم هذى القصيدة بليلة … رأيت بها بدر التعاضد مقمرا

***

ولو كان نظامو القريض ذوى ندى … لأصبحت أغنى الشاعرين وأيسرا
فكم شدت بيتا فى الخيال مزخرفا … وكم نظمت يمناى عقدا مجوهرا

وقلت وهى ختام قصائد سنة ١٣٢٨ حينما حولت المطالب على رئيس الشورى:

بدر المطالب ساطع الأنوار … فاستبشروا يا معشر الأحرار
بدر أضاء على المعاهد انما … يخفى الحقيقة صاحب الانكار
لا تقنطوا من عالم متجاهل … أفكاره كالزيبق الطيار
يا معشر العلماء انا معشر … نحمى الزمار ونرعى حق الجار
ولقد رعينا حقكم ولأنتموا … أدرى الرجال فحققوا أشعارى

خلوا الرقاد وأرجعوا من مجدكم   ما كاد يمحى من سجل القارى
فالأزهر المعمور روض زاهر   فيه اغتدينا أينع الأثمار
ولقد سقينا العلم وهو لنا إذا   كهتون غيث صيب مدرار
أصبحت يا روض العلوم كجنة   فى مصرنا فياحة الأزهار
لك نكهة قد خلتها مسكية   إذ قيل فيك مؤلف العطار
أن قلت دورك من لجين شيدت   ما كنت إلا أصدق الأبرار
فلقد بناك الجوهرى بماله   قدما كما شاهدت فى الأخبار
بالله مدرسة القضاء ترى بها   ما حزته من رفعة وفخار
السعد فيك لمن يريد نواله   يا معهد الإسلام جل البارى
إن الهدية لهى فيك وصاحبت   فتح القدير إذاً بلا إنكار
وكما نرى الدر النفيس منظما   يهدى لأزكى طالب صبار
ترك الأحبة يوم جاءك قاصدا   متغربا عن أهله والدار
أن كان علمك قد يباع فذا فتى   يشريه بالأرواح نعم الشارى
لاغرو أن قلنا بأنك كعبة   للسائحين وخيرة الزوار
فلقد أتاك من العراق قوافل   قد متعوا بك أحدق الأبصار
وكذا أميركا ثم من آسيا ومن   أفريقيا بل ساكنوا البلغار
جاءوا إليك ومن شديد ولوعهم   بك دققوا النظرات بالمنظار
قرأوك كنزا للعلوم وللحجا   وبك التقى من أقدم الآثار

***

إنا طلبنا من أمير بلادنا … طلبا أشيع بسائر الأمصار
فرآه عدلا وهو أقوم عادل … فدعى وزارته لبث قرار
قوموا وقولوا فليعش عباسنا … موفي الوعود وبدر مصر السارى
أمر الوزارة يوم يعقد مجلس … تتلى المطالب أول الأخبار

فاستصوبوا أن يعقدوه وحينما … عقدوه فى الديوان بعد نهار
أمر السعيد بأن تجاب بأسرها … نفسى الفداء لناظر النظار
ولربما رأت الوزارة أن من … نفع المطالب لجنة الأبرار
إذ قال ضمن قراره قد حولها … هذى على فئة من الأحرار

يا لجنة قد عينت لمطالب … نفديك بالأسماع والأبصار
إنا بنيناها على تقوى وما … بنيت على جرف رثيث هارى
فلتحسنى صنعا كما قد عودت … منك الديار وتلك خير ديار
إن المطالب أصبحت كقضية … ولسوف تكتب فى سجل البارى
الله يقضى ما يشاء وعبده … بالأمر ينطق – حكمة الجبار
ولقد دعوت الناس دعوة مخلص … ودعوت ربى فى دجى الأسحار
فأجاب ربى ما دعوت وانتموا … حققتموا ما رمت فى أشعارى

الباب السادس

فى الحِكَم

الناس كالدر منظوم ومنثور   أو كالصحائف مطوى ومنشور
أو كالعقيق على خد وفى عنق   فالكل صنفان مسرور ومثبور
أما الحياة كسوق أمه نفر   كل بمتجره لاشك مغرور
لكن من عمل الإحسان مجتهدا   من الكريم بيوم الحشر مأجور
ومن أتى فى زمان الجهل منقصة   وتاب لا راجعا فالذنب مغفور

وقلت مملياً تلميذاً:

لا تصاحب من الرجال سفيها   وادخر سيدا حميد الخصال
وإذا أبصرت النساء نهارا   يتبخترن فى أشد اختيال
فالزم الصمت والحياء دواما   واترك الطيش حيلة الجهال

وقلت لأهل الهوى:

لعمرى وما عمرى على بهين   لقد ساء من شاء المحبة متجرا
فمن غره حب الحسان عشية   فسوف يريه الدهر أعجب ما يرى
لأن الغوانى لم يملن إلى فتى   يكون فقيرا أو غنيا مقترا
ومن ود صدق القول فليأت ضحوة   على جسمه طمر ولن يتنكرا
سوى أنه يأتى حبيبته التى   كثيرا أراها موسرا ليس معسرا
يقول لها قول امرىء متصنع   على شرط أن لا تعلم القول مفترى

يقول لها إنى أريد معونة   فقد صرت بعد القطن أفترش الثرى
ومن خالص المال الذى قد وهبته   لذاتك حين ابتعت فى الليل مسكرا
تجودين لى منه بشىء لأننى   وعمرك حر لا يباع ويشترى
لعمر أبى ماذا يكون جوابه   أتزرى به إذ كان للفقر مظهرا
أم القلب يحنو صبوة فتغيثه   وتعطيه مالا أم يؤوب مقهقرا

الباب السابع

فى غــــزل المؤنث

إن هذا الباب للشاعر بمثابة الماء للسمك وكم من متغزل لم يعشق وعاشق لم يتغزل.

وإليك ما قاله الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) وهذا نصه – وهذا الفرزدق وكان مشتهرا بالنساء وكان زير غوان وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب مذكور ومع حسده لجرير وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا..

وهانحن نورد شيئا مما نظمناه تتمة للفائدة قلت متغزلا:

عشقت من الحسان لحسن حظى ... فتاة دأبها حفظ العهود
فإن سفرت فعن صبح مضىء ... وان سدلت فعن ليل مديد
وإن خطرت فمن غصن كثيب ... وان نفرت فعن ظبي شرود
وإن نظرت فعن لحظ يمانى ... وإن غضت فعن طرف مبيد
وان غضبت فعن أنياب ليث ... وإن ضحكت فعن در نضيد
وان نطقت فعن ملك كريم ... وإن أمرت فعن ملك سعيد
لماها كوثر يروى فؤادى ... وأصبح منه فى فرح شديد
أمتع أعينى وأزيد أنسا ... كأنى صرت فى دار الخلود
ولو نظرى أتى ذنبا لديها ... يكون جزاءه نار الخدود

***

ولقياهما لدى ولو بليل ... أحب إلى من أيام عيد
وساعة خلوة لأبث شجوى ... أحب إليّ من مُلك الرشيد
وعندى الغانيات قصيد حسن ... وإن حبيبتى بيت القصيد

وقلت

أحببت من بين الكواعب ناهدا ... حب الفقير لصاحب الكف الندى

هى شمس حسن ألبست حلل البهـا ... وبنورهـا بـين البريـة اهتـدى
لولا مودتها وحسن طـويتى ... وشـريف خاطرها وفـرط تـوددى
ووفاءها عهدى وخلفى عـاذلى ... ما كنت اعرف أمس يـومى مـن غـدى
وإذا سمعت ولست أسمع إنهـا ... مرضـت وآلمهـا سـؤال العـود
بالروح أفديها وصحبي كلهـم ... والأقـربين وكلمـا ملكـت يـدى
وإذا أراد الحاسـدون تباعـدى ... واصـلت حبـي رغـم أنـف الحسـد
وعذابها عندى كعذب رضابها ... وصـدودها عنـدى كحـر تنهـدي

***

يا قوم هل حب الحسان مهانـة ... حتـى نبدلـه بحـب الأمـرد
تعس الذى يهوى الوليـد فإنـه ... ذو شقوة عنـدي وحـظ أنكـد

***

أما الحسـان خلقـن للحـب الـذى ... يدع المحب أخـا هنـا لـم ينفـد
وإذا شـرحت غـرامهن مفنـدا ... قطعت بالحسـنى لسـان مفنـدى
أصبحت لمـا أن بـدت لـى دمنـة ... أرنو إلى علـم الجمـال المفـرد
وطرحت أرديـة الصـدود وجئتهـا ... وغدت لأثواب التعـارف ترتـدى
قالت غـدا أرجـو اللقـاء فحققـن ... قصدى وكن بـرا بـذاك الموعـد

فدنوت منها ثم قلت أنا الذى   عند ابتسامك لى يضيع تجلدى

فإذاً يكون لقاؤنا متواصلا   أولى وأحسن من ملاقاة الغد

قالت فذا ميدان آساد الهوى   أهل الجوى والكاعبات النهد

أن رمت فلننزل معا حتى إذا   أرهقت منك ملكتنى يا سيدي

فنزلت إذ أشهرت سهم تواضعى   وغدا التعطف نحو تلك مهندي

فرأيتها قد جردت برشاقة   سهم اللحاظ لكي تبرر مقصدى

فأصاب موضع مقتلي ووقعت فى   شرك الهوى من ذلة من منجدى

هدرت بسيف لحاظها دم عاشق   يصبو إلى خد زهى بتورد

لكننى ناديتها بتلطف   يا من أعضت مسرتى بتسهدى

ريشت سهمك كى يصيب حشاشتى   فأصاب سهمك موضعا لم تقصدى

قالت حبيبى لو يمت صب الهوى   تحيى إذا أنفاسه بترددى

وقلت:

أمية أنت الشمس والبدر والرشا   وأنت إذاً غصن على الأرض قد مشي

هبي انني متعت منك بنظرة   أما قد ملكت السمع والقلب والحشا

وقلت:

إنى تذكرتها والناس فى جزل   لكنني فى لظي والقلب متبول

فطار قلبى شوقا نحوها وبكت   عين كأن مقال النصح تضليل

توشحت بوشاح الصد قاتلتي   وفوق جسمى ثوب الشجو مسبول

وليس لى ذنب إلا أننى دنف   عن الحياة بحين القرب مشغول

عاتبت دهري أحياناً وقلت له ... إن التي من هواها الجسم منجول
خود خدلجة قبّا بهكنة ... وركاء عبهرة غيداء عطبول

وقلت:

ألا إن حب الغانيات مهذب ... وإن التنائي للمحب معذب
على أن بعض الصد يصلي بؤاده ... فيرضي كان الصب فى الصد يرغب
عجيب لمن يهوى فتاة تذيقه ... كئوس عذاب عند ذلك تعذب
عليل إذا بانت صحيح إذا دنت ... عطوف إذا صدت ويرضى وتغضب
إذا ما جنت يوما يداه جناية ... ولم يدر أن كانت إليه ستنسب
وجاء إليها فى الغد ومرحبا ... يظن بأن الصدر للصب أرحب
فتؤلمه طورا بتعنيفها له ... وتؤلمه بالصد حينا وتعتب
فمن منكمو ألفى عطوفا منكدا ... ومن منكمو ألفى رحيما يعذب

وقلت:

فداءك ملك العالمين بأسره ... ولو بدلوا أنس المحب بأسره
وأني على رغم الأعادى أخو هوى ... إذا قطعوه لا يبوح بسره
يبيت رقيبي والجوى بين أضلعي ... له لهب يشتاط وجدا بجمره
ولف ما يطفى اللهيب سوى لما ... أخاف بأن ألقى الأسى بين ثغره
ولم أنس طول الدهر ليلا قد انقضى ... بأنس وحيانا الزمان بيسره
قضينا سويعات وما عرف الكرى ... بأعيننا أصلا أماكن حجره
أدرنا كؤوس الصفو والجو قد صفى ... ولاح لنا بالليل بازغ بدره
وقد أمر الرحمن بالقرب والهنا ... لنا غسقا والله بالغ أمره

وقلت:

العشـــق للصـــب الحمـــيم   عـــذب ولـــو شـــرب الحمـــيم
والكـــاس لـــيس بمســـكر   ما لـــم يكـــن مـــن كـــف ريـــم
والعـــيش فـــى ظـــل الحبيـــب   ألـــــذ مـــــن دار النعـــــيم

لكـــــن مقـــــروح الفـــــؤا   د بـــــدار شـــــقوته يقـــــيم
ويـــــرى المذلـــــة عـــــزة   والعـــــز فـــــى وصـــــل يـــــدوم
والهجـــــر مـــــر طعمـــــه   والوصـــــل أشـــــهى للســـــقيم
مـــــا حيلتـــــى أن قـــــل   ـــــرى واعتـــــرت فكـــــرى الهمـــــوم
صـــــــــــــــــــب   اهـــــدت إلـــــى قلبـــــى الكلـــــوم
لا أشـــــكى إلا لمـــــن   فـــــأخو الهـــــوى طبعـــــا رحـــــيم
فـــــإذا عفـــــت عـــــن ذنبهـــــا   لـــــى هجرهـــــا أرعـــــى النجـــــوم
وأنا الـــوفى وفـــى ليـــــا   ة كـــــؤوس أنـــــس أو نعـــــيم
أنا ما شربت مع الحيـــــا   مـــــاء الإســـــاءة والوجـــــوم
حتـــــى تـــــزوج بكرهـــــا   إذا تخيـــــره الكتـــــوم
العشـــــق أحســـــن مـــــا   لســـــواى قلـــــت لمـــــن يلـــــوم
رأيـــــــــــــــــــت   هـــــو الصـــــراط المســـــتقيم
وإذا تـــــرآى غيـــــره   فى مذهبى أن الغـــــرام

وقلت:

بعد النعيم غـــدوت ذا وجـــد وذا   كلـــــم وذا شـــــغف وذا أبعـــــاد
فأخذت راحلتى وجزت مـــراحلا   ومـــررت بـــين رواســـخ الأطـــواد

فرأيت ظبية ما الغزالة وجهها ... وبها استضاء فضاء ذاك الوادى
رمت الدنو فأسرعت وتباعدت ... عنى مضي رشدي وبان رشادي
فتبعتها والقلب يخفق تارة ... ويئن أخرى لا يود كسادي
لما انتهت من شوطها وقفت لدى ... ميدان للآرام والآساد
وقفت تحاربنى فرمت طرادها ... لكن كبي قبل الطراد جوادي
فرجعت منهزما أسير غرامها ... وتبدل الإيناس بالتسهاد
ورأيت بارقها يقد حشاشتى ... فكأن ذاك مفتت الأكباد
وقضيت ليلى سابحا فى لجة ... من مدمعى وجفوت طيب رقادى
والليل أرخى ستره كغدائر ... كانت لزينب أو لمثل سعاد
فهممت أفتش وقصة فضللت فى ... طياته سحرا وهمت بواد
لكن دنت منى غداة صدودها ... فأعادت الأرواح للأجساد
قالت ضللت فقلت كلا والذى ... جعل الرضاب رواية للصادى
يهذى سواى فرنده لم يهدنى ... غير الهوى ولكل قوم هاد

وقلت مطرزا اسم (عنيات) وبعد أن طلبه منى صديق:

عشقتك ظبية غصنا ميودا ... ولو واصلت أكمدت الحسودا

نهانى عازلى فصددت عنه ... فقد علمتنى منك الصدود
يخيل للمتيم إن تهنى ... برؤيا منك أو قطف الورود
أو انتعش الفؤاد بجنح ليل ... وقد واصلت مضناك الودود
تتيه إذاً أيا عنيات نفسى ... كأنى فى الهوى صرت الرشيد

وقلت متخيلاً ناظماً هذا القضية الغرامية:

نعسان جفنك أيقظ العشاق   ولذيذ قولك أشبه العشاق[1]
وأنا أشابه سابحا في لجة   كانت له أمواجها أشواقا
والدمع أشبه وابلا متدفقا   والقلب أشبه طائرا خفاقا
يا من أبحت تهتكي من بعدما   أهرقت لا دمعي دمي إهراقا
هذي الجناية قد أبحت بها دمي   وغدا لدى أهل الغرام مراقا
وجزاء من يجني على العشاق سجن   بعدما أن يشبعوه وثاقا
هذا يكون لدى الحياة وفي الممات   يذوق كاسا للعذاب دهاقا

***

يامية اصغي قد رفعت قضية   وأنا لها القاضي انظري
وقد قيل انك قد قتلت محمدا   الأوراقا
وانا حكمت وكنت أول حاكم   بسهام لحظك يوم لا إشفاقا
فلقد سجنتك في الفؤاد مخافة   بالعدل حتى لا أخاف فراقا
     من موقع بين الرفاق شقاقا

***

أما عذابك بالسعير فإنني   أقضي وذاك القول ليس نفاقا
أن شئت قلت أؤوي قلبيي والحشا   وأصلي سعيرا وأصطلي إحراقا
هذا جزاؤك قد جنيت على أمرئ   فدى لوجه زائد إشراقا
أما جنايتك الأخيرة فاعلمي   عنها نطاق قصيدتي قد ضاقا
وأنا إذاً أجلت نظرتها إلى   يوم التلاق لأشهد المعشاقا

---

(1) العشاق الأولى أرباب الهوى * والثانية نغمة موسيقية.

الباب الثامن

فى غزل المذكر

هذا الباب توأم للسالف والغرض من النظم فيه ذكر معان يعود ضميرها مذكراً لا مؤنثاً وكلا البابين خطرات أفكار :

قسما بمن سلب العقول وأفتانا ... ما ذاق لذة أنسه إلا أنا
ريم يغار الظبى من لفتاته ... والغصن يسجد أن تأود وانثنى
والشمس تغرب حين يشرق وجهه ... والبدر يخجل أن بدا باهى السنا
والورد فى الجنات يذبل خاشيا ... لقدومه ورد الخدود المفتنا
والراح فى فيه ومثلى مغرم ... بشرابها بل ماله عنها غنا
ملك على أهل الغرام مملك ... الله أكبر ما أبر وأحسنا
رشق السهام بمهجتى فكأننى ... ذاك الذى فى عهد صولته جنى
أنا ما جنيت سوى ورود أسقيت ... عذب الرضاب فخلتها نيل المنى
وأماتنى فى حبه متعمدا ... قتلى كان القتل ضمن عهودنا
وكما يميت الصب من لحظاته ... يحييه من بعد الوصال إذا رنا
ولقد نأى والظبى من عاداته ... نأى وتحسده الظباء إذا دنا
فلقد أبر بوعده وحلاله ... رشفى لأكواب المسرة والهنا
واستحسن المحبوب خلوة ساعة ... وأنا إذاً واصلته مستحسنا
وأتيته فى روضة فياحة ... فيها يطيب سراحنا ومراحنا
ولبثت حينا بينه متضرعا ... إذ خلت نفسى عند طيبة أو منى
وإذا دعوت الله يبقى ودنا ... شاهدته عقب الدعاء مؤمنا

وكنت مرة فى السيدة زينب فرأيت جميلاً أن مشى تبعه خلق كثير فقلت:

ومهفهف أسر الورى فى السيدة ... بجماله سبحان رب أوجده
يمشى فتتبعه الألوف كأنه ... يهدى بضوء جبينه من وحده

وقلت تحت صورة فوتوغرافية مشطراً:

لام قوم فى حبه ثم قالوا ... كنت تهوى محاسنا وجمالا
فرأيناك مغرما بمثال ... عجبا يعشق المحب مثالا
أنا يا قوم شاعر ليس بدعا ... لو أرجى من المثال وصالا
وإذا كنت شاعرا فجميل ... أن يحب الخيال منه خيالا

الباب التاسع

فـــى الاستعطــــاف

أتاركتى للسهد خلا وللقلا   خليلا وللبلوى أخا حين أنسب
أهلا كفى بعدى وصدك والقلا   وهلا كفى هذا الجفا والتجنب
ثمان ليال ما اكتحلت بنعسة   وإني لطيف منك قد بت أرقب
مثالك فى فكرى وذكرك فى فمى   فما ذنب نومى عن جفونى يسلب

عهدتك لا ترضين ذل متيم   ببيت طويل الليل يبكى ويندب
فيا حسرتى أن كان هجرك دائبا   ويا فرحتى أن كنت منك أقرب

وقلت:

حبيبة قلبى ليس للقلب سلوة   فجودى بوصل وارحمى العاشق المضنى

وقلت:

تمنيت أن أحظى بلقياك مرة   ولك دلوع لا يمل الأمانيا
فإن جدت لى بالوصل عطفا ومنة   رحمت فتى مضنى المحبة ثاويا
وما زلت أشكوا صدها وتسهدى   وما برح الدهر الخؤون معاديا
إلى أن دنت منى على رغم عاذلى   وبعد النوى والنأى أمسيت دانيا
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

الباب العاشر

فـــي العـــتـــــاب

نعم عاذلى منا الفؤاد لقد شفا ... وأصبح قلب المستهام على شفا
فقد قطعت احشاء صب بصدكم ... وما ذكر الإيناس إلا تأسف
فواعجبى هل ذلك القلب عالم ... بحالى وما ابدى إلى تعطفا
وقد حار فكرى حيث لم أدر بعد ذا ... أأندب حظى أم حياتى أم الوفا
فلو كان قسط المنجز الوعد خلفه ... ومات شهيد الوجد لم يك مجحفا

وقلت:

سليمى سليمى حنانا حنانا ... ورفقا بصب كثير الحنين
خللت شعورا وغطيت وجها ... وقد قل صبرى ولم ترحمينى
أذات المحاسن كيف يوارى ... بليل الشعور ضياء الجبين
وقابلت عطفى بنكثك عهدى ... أهذا جزاء المحب الأمين
فسلمى أنادى ودهرى يعادى ... وقد قل زادى وضاع يقينى
وحبل ودادى على ما أراه ... قوى متين وأى متين

وقلت:

يا من سكرت بقولها وبجفنها ... وبريقها إذا كان لى ترياقا
ردى على تجلدى فأنا فتى ... أهوى الوصال ولا أريد فراق

حتى قلت:

ما زلت أرجوها اللقا لكنها ... بخلت به وأجابت المشتاق
من لم يذق طعم الصدود دمع الجفا ... لم يدر للوصل الجميل مذاقا

الباب الحادى عشر

فى الرسائل

صدرت كتاباً لأحد الخّلان بهذه الأبيات، وكان الطرس محلى بنقوش مختلفة وعليه شكل ملاك يقود طيوراً:

محمد هذا الرق قد صـغت عقـده   بـدر وداد يـا أخـى كامـل النسـق
ففيه ملاك الشوق يحمـل رقعتـى   وقلبى بهذا الشـكل يـا منيتـى علـق
يقود علـى واد الكتـاب بلابـلا   يغـردن تغريـد المحـب إذا افتـرق
وحفتـه أزهـار تغـاير لونهـا   تضوع كما المسك الزكـى إذا عبـق
وحملتـه آي الـوداد وأنـه   سيمليك ما عندى من الوجد والحـرق
فياليتنى حرف بـبعض سـطوره   لتنظرنـى عـين المحـب إذا رمـق
سـأفرح لمـا أن تـرد رسـالتى   كفرحة زهر الطرس والطير والـورق

وقلت مصدراً كتاباً عليه رسم يد تسلم على أخرى:

من المخلص المشتاق أزكى تحية   إليك أبـا محمـود فـرع ومحتـد
وإنى سعيد فى الورى حيث إننى   أرى يدك الحسنى مصافحة يـدى

وقلت فى كتاب لحضرة السيد محمد متولى عيسى:

إليك كتاب مـن محمـد يـونس   يعبر عما كان فى الفكر مبهما
فياليتنى حرف ببعض سـطوره   أشاهد ثغـرا قارئـا متبسـما
وتنعشنى رؤياى وجهـك حينمـا   تراه وأغدو للحبيـب مسـلما
بعدت فصيرت ابن يونس فى ضـنى   فجد بانعطاف نحو ذاك تكرما

وقلت له أيضاً:

ولو علمت قرموط (١) أنى أخو جوى   أسبح فى بحر الهوى حين أسبح
لادنيتها منى على رغم عاذلى   فيونس قدما كان فى الحوت يسبح

وكتبت على بطاقة زيارة لحضرة الأخ الفاضل عثمان أفندى الرزاز، وقد كان متوعك المزاج:

رجل من أقصى المدينة يسعى   ويريد المثول بين يديكم
فأنله اللقاء حينا ليحظى   ويقول السلام منى عليكم
حيث يقصى الداء المقرب منكم   ويرد الشفاء حالا اليكم

وكتبت على قرطاس داخله ورده:

أهديك وردة روض لا شبيه لها   فوق الغصون تضاهى خدك الزاهى
فإن قبلت فعطف منك يا أملى   وإن منعت فما حسبى سوى الله

وصدرت جواباً بهذه الأبيات:

أزكى خطابك جاءنى   ومداده من عنبر
آياته قد فصلت   وكلامه كالسكر

وقلت:

ولما قرأت الرد منك رأيتنى   للذة معناه كشارب مسكر
ولكننى يا صاح لست بوارد   حياض خموران يكن حوض كوثر

---

(١) قرموط: اسم بلد في مركز ميت غمر

الباب الثانى عشر

فى شكـــوى الزمـــــان

لا تعذلوني أن هجوت زماني ... فالدهر ريش سهمه ورماني
فأصاب مني موضعا لو أنه ... في الرمي أخطأ لم أصب بسنان
ومن الزمان غدوت في حال الأسى ... مع حال بؤس ببئست الحالان

وقلت في شكوى غزلية وقد كلفني بها فاضل أديب:

ألفت من الغيد الحسان غزالة ... بواد الجفا هذي قد استحلت المرعى
وظل رقيبي بالصوالج لاعبا ... فكان إذاً هذا إلي وصلها ادعى
ولما أسرت لي الحديث وجاهرت ... رأيت رقيبي نحونا قادما يسعى
فقلت عجيباً يا أولي العشق والهوى ... كأن رقيبي جاء يسترق السمع
سعيت وقصدي أن أنال وصالها ... قعدت بلا نيل فواخيبة المسعى

وقلت ملبياً طلبه:

رقيبي جزاك الله مالو جزيته ... لأصبحت مقروح الفؤاد حبيبا
يؤرقك التشتيت والصد والجفا ... وتصبح في قفر البلاد غريبا
يذكرك المحبوب تغريد أيكة ... إذا شمت غصنا في الرياض رطيبا
تخنثت حتى لا تفارق حجرة ... لمية بل صار اللقاء نصيبا
وما مية إلا كشمس متى بدت ... فعار عليها أن تحب غروبا
ولكن أتيت اليوم كالغيم حاجبا ... سناها وقد أصبحت منه طروبا

وقلت ملبياً دعوة آخر:

أفي كل يوم جفوة وصدود ... كان هبوطي في الشقاء صعود
إذا قلت أقصاني العذول كذبت في ... مقالي لأن العاذلين رقود

ولكن حظى مثل ليلة هجرها   أراه قريب الظعن وهو بعيد
لمن اشتكى حظى وقد مات منصفى   ولم يبق لى بين الأنام عميد
سواها وقد تهدى إلى تقلبا   له ألم عند الحبيب شديد
ففى كل ميل ميلة وتقلب   وفى كل حين للصفاء وعيد
كأنى جميل حينما قال للتى   أحب وهذا للقريض مجيد
إذا قلت ما بى يا بثينة قاتلى   من الوجد قالت ثابت ويزيد
بعد أن بانت مية خوف واش   ورقيب فى حيها لم يغادر
قربت فاتخذت نوقى ورحلى   ثم سرنا فى الليل والليل سائر
وشدا حادينا وغنى ولكن   وقفت فى الطريق عيس المسافر
وأرى ليلى شاب من هول خطبى   وصباى قد كان زاهى زاهر
وقدى والعيس سارت سريعا   ثم جئنا ديار هندام عامر
إنما أهل العشق قالوا عجيبا   من غزال يأتى له الليث صامر
ورقيب عنا ترحل لكن   زارها فى صبيحة اليوم زائر
فاختفينا عن العيون زمانا   وأنيسى يراعتى والمحابر
فكفعلى منهن ضوء المحيا   وكحظى منهن سود الغدائر
وعذولى قد قال قم وترحل   قلت دعنى ولا تكن كالمكابر
كيف أرضى بالبعد عن نور عينى   أن هذى عندى لاحدى الكبائر
سوف تبقى فى مهجتى وهواها   بين جنبى يوم تبلى السرائر
هى قد أوصلت وبنت فصدت   فأبانت تلك الدموع المحاجر
فعسى من بهجرها عذبتنى   حسبتنى بنعمة الوصل كافر

وقلت:

تطاول ليل المستهام وما نام   وأما الخلى المستبهد فقد لام

ويارب أن كان الغـرام تحسـرا	وسـهدا وتشـتيتا وصـداً وإيلامـا
وتعنيف لاحٍ واسـتباحة مـدمع	وشهرة اسمى فى الورى بالـذى هـام
ولا مشفق يحنو علـى ويطفـئن	لهيـب ولـوعى بالرشـاد إذا رام
ولا مؤنس يغنى المحب عن البكا	ولا كاتم للسـر عـن جهـره صـاما
ولا صـادق فـى قولـه ووداده	ولا رافع للـود فـى النـاس إعلامـا

فيارب متى استرح مـن مصـائبى	فلست لهذا العيش فى الناس لوامـا
لأنى أرى موتى ولا هجـر سـاعة	تريني سرورى والتواصل أحلامـا

الباب الثالث عشر

فى خطـــب الأفـــــراح

فقلت خاطباً فى فرح:

يا سادة قد شرفوا فرحا غدا … من أجمل الأفراح والأعياد
إني سعيت وكنت في شغف إلى … ترتيل آى الأنس والإسعاد
فرأيت (...) فوق تخت زاهر … كالبلبل الشادى على الأعواد
وبصوته أحيا الفؤاد من العنا … وشفى الغليل من المعنى الصادى
جذب القلوب بجوقة محبوبة … وتزيد وجدى نغمة العواد
رق الأنام لرقه وغنائه … وترافق الأصوات والأعواد
فكأنه ساق يدير مدامة … هام الرقيق بها من العواد
والناس بين مهلل ومكبر … ومصفق طربا من الإنشاد
ورأيتكم فى غبطة فأعيذكم … وأعيذه من أعين الحساد
أما العروس فقد تجلى بيننا … كالبدر بين أزاهر أمجاد
فالله أدعو أن يديم عروسه … ويتوجا تاجا من الإسعاد
متسر بلين بحلتين من الرفا … فى ظل عباس وعهد رشاد

وقلت خاطباً:

أأرى شموساً أم أرى أقمارا … أم غانيات نهدا أبكارا
أم أنت يا شمس المحاسن والبها … واصلت من يرجوك ليل نهارا
أن كنت أنت حقيقة فتعطفي … وارضى الحبيب إذا نأى أوزارا
فلقد علمت أيا مناى ومنيتى … لما طرحت مع القناع إزارا
وبدا لنا وضاح وجهك مشرقا … سجدت جفونى هيبة ووقارا
ولسان حالى كاد ينطق قائلا … الله أكبر فاقت الأقمارا

يا منيتي ببديع حسنك واصلي … مضني جفى الواشي وعنه توارى

قضى ليالي البعد وهو مسهد … إذ كان دمع عيونه مدرارا

والقلب لم يدر السلو ولا القلى … وأباح دمعي للعدا أسرارا

حمل العذول إليك عني فرية … كذب العذول فقوله ما صارا

لا تعجبي من حمل ذلك كذبة … كم من حمار يحمل الأسفارا

***

يا من علمت بأنني لا أدعي … إفكا وإني أركب الأخطارا

مازلت أرتقب الخيال عشية … حتى دعيت إلى السرور جهارا

ما زلت مرتقبا خيالك خفية … حتى دعيت إلى السرور جهارا

فأتيت عرس محمد في ليلة … كأس الحبور على الحضور أدارا

إن كان يشبهه الرحيق شربته … وقطفت من روض الصفاء ثمارا

ورأيت من هذا العروس وعرسه … يا قوم ما يستلفت الأنظارا

إذ شمت .. كالهزار مغردا … وسمعته كالكيروان مرارا

فكأنه ساق يدير مدامة … قد خامرت بلذيذها الأفكارا

ويحرك الشوق القديم بمهجتي … عواده أن حرك الأوتارا

ودعوت ربى أن يديم عروسه ... حتى يفوق بأنسه بشارا
وكذلك يحفظ سادة قد شرفوا ... هذا المكان ومن به والجارا
أن ينثروا فوق العروس دراهما ... عددت فإنى أنثر الأشعارا
والشعر غالى لا يباع بدرهم ... إذ كل حرف سمته دينارا
ونظرت فى فهرست فكرى بعدما ... فتشت فى كتب السرور مرارا
فرأيت أن البيت أصبح روضة ... أمست به قيناته أشجارا
يمشين كالغصن الرطيب تأودا ... وإذا العروس مشت دققن الطارا
ورأيت كل الحاضرين أهلة ... قد زينو بدل السمار الدارا
ولأجل هذا كان بدء قصيدتى ... ألرى شموسا أم أرى أقمارا

وقلت فى خطبة فرح:

وافى الحبيب ونلت ما أرجوه من ... أنس ومن أسمى المسرة أو الهنا
مرت علينا ليلة فى روضة ... الغصن بالأوراق فيها زينا
والبلبل الصداح قام مغردا ... وجرت أحاديث المسرة بيننا
فكأنها فى صفوها وزهائها ... فرح تزينه المعالم ها هنا
فرح أضاء بأنجم وكواكب ... وغد بإشارات السرور مزينا
والناس بين مهلل ومكبر ... والكل فى فرح يمازجه هنا
إذ قام إسماعيل سكر بيننا ... متفردا كالكروان ملحنا
وسمعت منه قصة لو أنها ... تليت على صخر تفجر أعينا
أما العروس أخو العلا رضوان من ... تخذ الفؤاد وكل قلب مسكنا
أدعو الإله بأن يديم عروسه ... ويتوجا تاج المسرة والهنا
والله يحفظه ويبقى وده ... مادامت الأقمار ساطعة السنا

وقلت في خطبة عقد زواج:

هلال أحل بسعد السعود ... وشمس أحلت ببرج سعيد
فأشرق ربع السرور وأضحى ... زماني وفيا بتلك العهود
وأظهر لي من أحب ودادا ... أيارب فابق الحبيب الودود
فإني محب قتيل هواه ... ولو كان يهوى النوى والصدود
كان غاب عني فأنا سنحظى ... بوصل على رغم أنف الحسود
واطفئ نار الجوى بارتشافي ... رضابا وقطفي ورد الخدود
وحين اجتماعي أقول لدهري ... تجمع شملي بمن قد أريد

تجمع شملي وصرت سعيدا ... كما قد تجمع شمل (السعيد)
بأبهى عروس ستجلي كشمس ... تضيء على بدر مجد فريد
ولو عبد شمس أقام لدينا ... وشام العروس أطال السجود
وان كان للناس عيد فهذا ... قران سعيد لمثلي عيد
ففيه كئوس تطاف علينا ... عليها يروق الغنا والنشيد
بها كوثر لاشراب سلاف ... حلال وحلو وعذب الورود
وفي مثل هذا القران أنادي ... أيا أيها الناس أوفوا العقود
وأدعو الإله يديم التهاني ... لذين العروسين عمر الجديد

وقلت مرتجلا إجابة بعض الظرفاء في فرح:

أهلا وسهلا بشمس السعد مذ بزغت ... من خدرها وبدت في ليلة الأحد
واستأنست بنجوم يحتفلن بها ... كيما تزف إلى بدر العلا الأحد
وما سمعنا بأن الشمس زوجها ... بدر سوى ليلة تزهو بذا العدد
فالله أدعوه أن يبقى الهنا لهما ... والأنس والصفو والبشرى مدى الأبد

الباب الرابع عشر

فى المواعظ وخطب المجتمعات

قمت خطيباً فى جمعية وألقيت هذه القصيدة:

الدهر أصدق قائل أنباني … والعلم خير مهذب رباني
والحلم ثوب لو توشحه الفتى … لغدا يشير إليه طرف بناني
والعلم ينفع لو عملت به ولو … تنساه تصبح منه في نسيان
هو كالصديق إذا أبر خليله … بالطبع تحيي دوحة العرفان
أما الحياة كروضة أغصانها … وثمارها من خيرة الشبان
والغصن بالأوراق وهي كما ترى … بصفائها والروض بالأغصان

والروض لو ذبلت غضون غصونه … لرأيته قفرا وشر مكان
منه يخاف السالكون طريقه … ويظل من يأتيه كالحيران
فكفى معيباً للزمان فأهله … هم نقمة في هذه الأزمان
إذ قد ترى في أرض مصر شبيبة … هذا أخو خمر وذلك زاني
نبذوا الصيام مع الصلاة وأجحفوا … بحقوق ربي العالم الديان

إني لأعجب من فتى أودى به … حب الغرور فهام بالولدان
ويهيم طوراً بالظباء وتارة … يشقى الفتى فيهيم بالنسوان
جعل المحرم شرعه وحلاله … هتك الحرائر وهو في استحسان
إن واصلته سعاد جاءك يبتغي … إفشاء سر حيط بالكتمان
ولكم تباهى مثله بحديثها … فارتد من سر إلى إعلان
وإذا تغيب عن مزار ديارها … أبصرته كالواشق السعران
وإذا تدللت الحبيبة ساعة … شاهدته يمشي بغير جنان
وإذا تعطفت التي هجرته يو … ما ظل يمشي مشية النشوان
وإذا أتاه كتابها أبصرته … كولي عهد فاز بالفرمان
لولا النساء وحبهن لما غدت … مصر البلاد حليفة الأحزان
كم قد سمعت هوى فلان فلانة … وهو الوفي أخو الهوى المتفاني

لكن إذا ألفت سواه مبجلا ... ذا نعمة كبرى وذا إحسان
مالت إليه ولم تراع عهودها ... وغدا بحبة قلبها الاثنان
فتهب عاصفة الغرور بفكره ... ويريد إيذاء الفتى المتدانى
فيدبران مكائداً لا تنتهى ... إلا بصيب القتل والعدوان
كم من أخ آذى أخاه إطاعة ... لكلامها ما الاذ للعصيان
كم عق والده وآذى أمه ... وأذاق أختيه كئوس هوان
كم صام عن أخدانه لنصيحة ... يبدونها فى مجمع الإخوان
وإذا أتى جمعية وخطيبها ... ألقى النصائح صمت الأذنان
قام الخطيب وقال قول مهذب ... لا يخلط الطاعات بالهذيان
ورماه من حد اللسان بحكمة ... يا ليتها كانت بحد سنان
عاف النصيحة سامعاً لزخارف ... تتلى على المضنى بغير بيان
ويجيز من يأتى له بكتابها ... إن النساء مطية الشيطان

***

يا أيها المغرور حسبك هل رأت ... عيناك شخصا ساد بالعصيان
مالى أراك إذا خرجت مغادراً ... نادى الخطابة زدت فى الطغيان
فكأن إبليس اللعين وجنده ... جروا ذيولك نحو بنت الحان
ولقد أراك إذا سمعت نصيحة ... تبكى على الأخرى بدمع قانى
وتبين فى الحانات شوكة ضيغم ... وتبين للوعاظ قلب جبان
ومن الغرائب أن تجيء لحانة ... قد زينت بمعالم الأحزان
وتبيع عقلك بالشراب وتدعى ... أن الشراب منور الأذهان
ولقد كذبت على الشراب بآية ... جمعت مقال الزور والبهتان
إن الشراب هو الزعاف فمن يكن ... ذا فطنة ينأى بغير توان
وإذا أردت مع الحياة سعادة ... أو كنت بين الناس ذا إيمان
راجع أحاديث النبى المصطفى ... وانظر بعقل محكم القرآن
واعمل بأحكام الكتاب ولا تكن ... كالعابثين بسنة العدنان

***

ظنوا التمدين بين كاسات الطلا   وتوافق الأصوات والعيدان
زعم الكثير بأن بنجور التى   أضحت تحيتهم بكل مكان
وتهتك الأحرار والفسق الذى   تخذوه خير متمم الأديان
أو أن تقليد الفرنج تمدين   كذبوا وهذا آخر الإذعان
إن التمدين أن تكون مطهراً   من كل رجس طائع الرحمن
لو أنصفوا بحثوا تواريخ الأولى   سلفوا وشاموا اما أبى العمران
لكنهم جهلوا فضلوا ليتهم   ضلوا عن التقليد والعصيان
فالأزبكية عمروها مسجداً   لصلاتهم لا مسجداً للديان
بل هدموا ما شاده آباؤهم   وهو المهدم دينه كالبان
كم صخرة منها تفجر أنهر   فغدت وأضحت جمة الفيضان
وقلوب من سمعوا الرشاد بحالها   فكأنها قدت من الصوان
مع أن شاعر مصر قال بحكمة   (إن الحياة دقائق وثوان)
فإذاً عليكم بالتقى وتصادقوا   كيما تكونوا من بنى الإنسان

اليوم خمر يا فتاى وفى غد   أمر من المولى العلى الشأن
وجميع ما حصلته بصحيفة   لابد توضع تلك فى الميزان
فإلى النعيم تجر ذيل مسرة   إن كانت الحسنات فى رجحان
وتظل فى نعم وسعد دائم   ويكون قصرك عالى البنيان

وإذا تكاثرت الذنوب بكفة   أخذ الفتى رغما إلى النيران
فالعاقل الوجل الذى يخشى الله   عليه أن يسعى بغير توان
ويسير سيرة خائف من ربه   ويتوب عن وصل لبنت الحان
كيما يفوز لدى الحياة برفعة   ويفوز فى الأخرى بخير جنان

وقلت بخصوص يوم شم النسيم:

طير أيك على الغصون ترنم ... وعلى القوم العابدين ترحم
وبكا أهل ذا الزمان بكاء ... قد شجانى والجسم منى تألم
حيث قال المهدى إلى شجونى ... مسلم صلى للنبى وسلم
مسلم يقتدى بمثل يهودى ... أو بغاة المسيح عيسى ابن مريم
مسلم يأخذ المواسم عيداً ... ولعيد الإفرنج شاد وعظم
ولعيد الأقباط شاد صروحاً ... ولصرح الإسلام هدو هدم
وأنينى على زمان تفانى ... فأتانا زمان من ليس يرحم
قد أتانا زمان خمر ولكن ... شربها قد رأيت أمرا محتم
ليت شعرى هل الإله أمرنا ... أم نبينا لتركها كان حرم
أم نرى ذاكراً صحيح البخارى ... أن طه لها أباح وكرم
بل نرى فى القرآن حكم إلهى ... شاربوها مأواهم بجهنم
أيها المصرى افتخرت علينا ... بفسوق وكل فعل مزمم
وأخص الآثام فى عيد فصح ... هل بعيد الفصح ذا لم يحرم
إن شممت النسيم من غير سكر ... هل يقال أغتدى أصم وأبكم
يا فتى هل بتركك الفسق عار ... ليس يمحى أم ابتعادك أسلم
ما الذى قد يعود للعقل من خمـ ... ـر ألم يختبل ونفسك تسأم
فتدبر تسلم من الدهر لكن ... كن بصيراً هول القيامة أعظم
يوم حشر على العصاة كألف ... من سنين وكنهه سوف تعلم
ذاك يوم تشيب فيه النواصى ... وإذا لات الحين ساعة مندم

وقلت فى تبرج الغانيات:

فعــــل النســـــاء بمصـــــرنا ... لــــم تخـــف منـــه خافيـــة
يلبسن أثواب التهـــــــــــــــــــ ... ــتـك وهـــى طبعــاً واهيــة
ولبسن فوق الخـد منــــــــــــــ ... ديـــــلا أضـــل الغانيـــة
أمــــــا الرجـــــال كـــــأنهم ... أعجـــاز نخـــل خاويـــه
عجبــى مـــن الرجـــل الـــذى ... يرضــــى بــــزوج باغيـــة
رضـــــيت بـــه يـــا ليتهـــا ... كانـــت عليـــه القاضـــية

وقلت حينما صعدت على منبر جمعية مرتجلاً:

دعـــانى للخطابـــة خيـــر شـــهم ... وما مثلى يكـــون إذا خطيبـــاً
فقمـــت ملبيـــاً دعـــواه حتـــى ... أكون لدعوة الـــداعى مجيبـــاً

الباب الخامس عشر

فى التضمين والتشطير والتخميس والاقتباس

قلت مضمناً الآية الشريفة:

يا مــن أراه تائبــاً عــن غيــه   وفســوقه أو مــا يــؤدى للتلــف
أبشر بجنات حواها قوله قولهــا   (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد ســلف)

وقلت مقتبساً الآية:

جادت حبيبة قلبى بالرضا كرمــا   بعد الصدود وبعد الهجر والتيه
إذ جئتها ونساء الحى قلــن لهــا   حبل المودة من ذا الصب بتيه
قالت لهن كفى لو ما كفى عــذلا   (فذلكن الــذى لمتننــى فيــه)

وقلت مضمناً:

البيــــــت الآتــــــى   يـــا ليـــل الصـــب
للصـــب مـــلاك يعبـــده   هـــو رب الحســـن وأوحـــده
أن ضـــلله شـــيطان الهـــوى   فنبـــى العفـــة يرشـــده
وحـــديث الشـــوق لرؤيتـــه   لصـــحيح اللوعـــة يسنده
ومحيـــاه فـــردوس هنـــا   ونعـــيم الحـــب تـــودده
ولمـــا كـــالكوثر فـــى فمـــه   يحلـــو للمغـــرم مـــورده
وإذا الإنســـان جنـــى ذنبـــاً   بلهيـــب الخـــد يخلـــده
قـــد حـــار الصـــب ولـــم يعلـــم   يفتـــى مـــن هجـــرك ينجـــده
فســـليم الـــذوق يســـالمه   وحســـام اللحـــظ يهـــدده
عـــذر العـــذال ومـــن عجـــب   أن المحبـــوب يفنـــده
ويـــراه تقـــي لا يصـــبو   حتـــى لقيـــاه يزهـــده

أن كان بلال الخال دعا ... فزوايا المهجة مسجده
أمنيك القلب ارحم عبدا ... (مضناك جفاه مرقده)
وخميس الحزن محاصره ... هلا بالوصل تبدده
دعوى الإسلام يسلمها ... وينادى الكافر ينشده
يا ليل الصب متى غده ... أقيام الساعة موعده

وقلت مضمناً:

يا من نهاه عن الغرام عفاف ... قل لى بربك كيف ذاك يعاف
دعنى فتلك قضية منقوضة ... إذ ليس فيما تدعى إنصاف
إن كنت تدعى فى الوغى أسد الشرى ... أو كنت ليثاً شأنه الإسعاف
أنا لا أخاف من الأسود إذا دنت ... لكن من الطرف الكحيل أخاف

وقلت مضمناً الحديث الآتى ذاكرا الرواة:

من يروم العطاء يطلبه ممن ... لقبوه بين الورى بنيه
ذى ذكاء وفطنة وكمال ... وجمال ويقتدى بنيه
حيث قالوا أبو هريرة يروى ... ما روى الترمذى ومن سيليه
عن عطاء عن طلحة وسعيد ... وابن عباس يسندوه إليه
بصحيح الإسناد قد قال طه ... (اطلبوا الخير من حسان الوجوه)

وقلت مشطراً:

تمنيت من أهوى فلما لقيته ... تبسم عن دورنا ولنى صرفا
وحين شربناها ودب دبيبها ... ذهلت فلم أملك لساناً ولا طرفا
وكنت معدا للعتاب دفاتراً ... وفى جعبتى أودعت من هاته النصفا
ويممت واديه وشوقى زائد ... فلما اجتمعنا ما لقيت ولا حرفا

وقلت مشطراً الأبيات الآتية:

رضيت بنظرة فى كل يوم ففى لقياك طب المستهام
فجودى واعطفى كرما لعلى أدواى القلب من ألم السقام
ويوم لا أراك بألف شهر تمر بشقوتى بين الأنام
وفى حين النوى تعمير نوح وشهره لا أراك بألف عام
وعام لا أراك يضيق صدرى من الوجد المبرح والهيام
ويؤلمنى تذكركم نهارا ويزعجنى خيالك فى المنام
أحبك لا لفاحشة ولكن شريف الحب مصباح الوئام
وقد شغفت بكم روحى لأنى رأيت الحب من شيم الكرام

وقلت مشطراً:

أمر على الديار ديار ليلى وقد خل الديار من العذارى
ومن شغفى بهن وحر وجدى أقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبى فأخلع فى محبتها العذار
وأنفى النوم عن جفن قريح ولكن حب من سكن الديار

وقلت مشطراً:

خيالك فى التباعد والتدانى ورسمك يا زكى بين الجنان
وبعدك قاتلى ومضيع لبى وشخصك ليس يبرح عن عيانى
وشوقك فى الجوارح مستكن ووجدى زائد ولكم أعانى
لأنكِ قد ملكتِ القلب منى وذكرك لا يفارقه لسانى

حبيبى هجرت بغير سبب　　　وكنا ارتبطنا بأقوى سبب
فضوعف وجدى وقل الكرى　　　وقلبى لذاك أراه اضطرب
واكثرت عهد النوى بعدما　　　سمحت بقربى ونلت الأرب
فبالله عودا لدهر به　　　شربنا سوياً كئوس الطرب

وقلت مشطراً:

حبيبى هجرت بغير سبب　　　وكنا ارتبطنا بأقوى سبب
فضوعف وجدى وقل الكرى　　　وقلبى لذاك أراه اضطرب
واكثرت عهد النوى بعدما　　　سمحت بقربى ونلت الأرب
فبالله عودا لدهر به　　　شربنا سوياً كئوس الطرب

الباب السادس عشر

فـــى الهجـــــــــــــاء

كان غرضي أن لا أذكر شيئاً في هذا الباب ، ولكن تتميمًا للديوان نورد فيه بعض ما نظمنا قلت فيمن لا أسميه:

سألت الناس عن وغد زنيم … عتل بالسفاهة قد تفرد
وفى زمن الصبا قد كان لصاً … وصاحب ابنة مذ كان أمرد
وقواد إذا ما صار شيخا … من البخ الشتائى فهو أبرد
يهودى تبرأ منه موسى … ومنه القطر قد أرغى وأزبد
مسيحى تبرأ منه عيسى … وفى الإسلام لا يرضاه أحمد
وحصن للرذائل والمخازى … وبيت اللؤم والشحنا مشيد
تعيس الحظ ذى لؤم وشؤم … بحبل السخط فى الدنيا مقيد
وكالأنعام وهو أضل منها … لأسفار السخائم فهو سيد
وعنوان الجحيم لكل عاصى … وعفريت الصبى إذا تسهد
وكالخنزير فى خلق وخلق … فلا تطهير حتى لو تشهد
وكالكلب العقور بأرض مصر … وحجة صاحب التضليل أيد
إذا ما لامست كفاه كفا … لعاد الكف مشلولا وأسود
وتسود الصحائف من يديه … إذا خط اليراعة فى مجلد
وسلطان على أهل البلايا … بتاج الهون فى الدنيا تقلد
نظيف الجيب رث الثوب لكن … يعيش مع الورى والعيش أنكد

وكالطفل الرضيع إذا استبقنا … للاستقلال والمجد الممجد
يولول كالتى ثكلت بنيها … إذا ما بلبل الدستور غرد
تذبذب فى الملا عشرين … فقالوا كل ذلك فى ابن أسعد

وقلت فيه أيضا مضمناً الشطرة الأخيرة:

لـــك جبـــة مـــن عنكبـــوت نســـجها ... من عهـــد آدم وهـــى فـــى حســـن خفـــى
حتى أتى نوح فكانـــت فـــى الشـــرا ... ع وفصـــلت زمـــن المليـــك الأشـــرف
ولبســـتها مـــن عهـــد توفيـــق إلـــى ... عهـــد الخـــديو المالـــك المتعطـــف
عبـــاس لكـــن مـــذ تغيـــر لونهـــا ... يـــابن الخنـــا أظهـــرت كـــل تأســـف
وبذلت جهدك كى تحـــول صـــدرها ... مـــن ظهـــرا بغيـــر تعقـــل وتلطـــف
وفتحـــت مقراضـــاً لقصـــك كمهـــا ... وحلفـــت إيمانـــا بغيـــر تصـــرف
حتمـــا ســـتقبلها فقالـــت ســـيدى ... (قلبـــى يحـــدثنى بأنـــك متلفـــى)

وقلت أيضاً:

هذا اللئيم الـــذى فـــى القـــبح مـــا نظـــرت ... عينـــى وآه ولا شـــاهدت فـــى النـــاس
أن قلت كـــلب فليس الكـــلب يشبهـــه ... أو قلت شيطـــان هـــذا شـــر خنـــاس

وقلت فى آخر:

مـــــــا (   ) إلا أبلـــــــــه ... ورث ســـفالة عـــن أبيـــه المـــارق
عميت بصيرته فلو يسعى الغبـــــى ... رأى الحيـــاة كجنـــح ليـــل غاســـق
وإذا تفـــوه كـــان كالكلـــب العقـــو ... ر كأنـــه مـــن نســـل ذاك الواشـــق
ســـرق الســـفاهة وهـــو لـــص دنـــاءة ... لـــو أنصـــفوا قطعـــوا يمـــين الســـارق

ومنها:

وقلت لرجل بيتاً واحداً حيث لم أجد من مجده بناء يهدم:

وصـــماته عـــدت فكانـــت جمـــة ... منهـــا نختـــار تســـع حقـــائق
وجـــه عبـــوس كـــاذب متملـــق ... متمـــرد فيـــه طبـــاع منـــافق
نـــذل يـــوارى ســـوأة لصـــاحبه ... والصـــوت منـــه كـــالغراب النـــاعق
(مـــافيه منبت شعـــرة فـــى جســـمه ... إلا وفيهـــا نطفـــة مـــن فـــاسق)

ولا عجـــب أن تلتنـــى بإســـاءة ... فأنت أبـــو جهـــل وأنـــى محمـــد

الباب السابع عشر

فــي الــــــــــوداع

قلت مودعاً مصر:

أفارق مصر اليوم لا عن ملالة   فإني بها صب وذي لي عاشقة
ولكن أحداث الزمان لها يد   تطوح بالمضني وتقصي رفائقه
ولو أنصفت أيدي الزمان رمت به   إلى حيث يلقى إلفه ومفارقه
ومن كان ذا وجد وفارق إلفه   جوارحه بالوجد تصبح ناطقة
ولولا زفيري كنت أظهرت زفرتي   ولولا أنيني قلت نفسي وامقة
ولكن أؤسي النفس فالصبر دأبها   فبالصبر نفسي عن سواها لفائقة

حتى قلت:

فإني بعدوا عني زماناً وأصبحت   لهم نفس ذي الأشواق والوجد تائقة
فإني قنوع بالخيال إذا وفى   بموعده إذ قرب الليل غاسقه

متفرقات

قلت مهنئاً حضرة الأخ المهذب شقيق الروح أمين أفندي فهمي أحمد بميلاد نجله السعيد أحمد مجد الدين ، أقر الله به عين والديه:

بأحمد مجد الدين قد رحمت مصر   وعزت به الأوطان وابتسم الثغر
هلال تبدى في سماء سعوده   تحيط به أبناؤه الأنجم الزهر
وشمس المعالي أرضعته لبانها   لترقى به مصر ويفتخر القطر
بإشراقه تلقى الحياة منيرة   وتزهو به الدنيا فلا أفل البدر
تهن أمين أن أحمد ذو علا   به افتخرت مصر وحق لها الفخر
به اكتسبت جنات سعدك نضرة   وراقت به أيامه وصفا الدهر
نظمت له در القريض قلائدا   تحلى بها جيد المودة والصدر
وهاك الذي قال المؤرخ حاليا   بأحمد مجد الدين قد رحمت مصر
سنة ١٣٢٩ ٥٠   ٥٥ ٤٧ ٩٥ ١٠٤ ٦٤٨ ٣٢٠

وقلت فى غادة هيفاء تخجل بدر السماء إذا تبدت فى الملس:

نفسي الفداء لغادة   تبدو وتظهر في الغلس
شبهتها ببدر الدجى   لما تبدت في الملس
تخذت فؤادي مسكنا   وبحسن طلعتها ائتنس

فكأنها ملك بدا   وعلى أريكته جلس

***

رشفت الرضاب لدى أشـ   ـهى من معتقة الكئوس
فالخمر تلعب بالعقو   ل وذاك يلعب بالنفوس

وقلت مشطراً قول ابن سكرة:

أهلا وسهلا بمن زارت بلاعدة   والدهر أنشدني يا خير مؤتنس
جاءتك فاطمة تسعى بمفردها   تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت   وكيف يستر ضوء البدر في الغلس
وخلتها البدر إذ حاكته طلعتها   وناب إشراقها ليلا عن القبس
وطواها الدجى عني لأظهرها   ليل الشعور وطيات من الملس
وإن ضللت بذاك الليل أرشدني   برق اللثاث وعطر النحر والنفس

سائلوها عن فؤادى المستعر ... كيف سامته بصد مستمر
سائلوها هل سقتني صدها ... لا ريها دمع عيني المنهمر
سائلوها هل لها من شافع ... ترتجيه يوم لا تغنى النذر
سائلوها كيف ودت عاذلي ... ومريد العذل كذاب أشر
سائلوها عن فؤاد ذى جوى ... قد أبادته بذا اللحظ الخفر
سائلوها إن نفسي ذهبت ... في هواها هل لها من مزدجر
سائلوها شعرها لم أليل ... أو ليس الشعر من حظى العكر
سائلوها كيف هذى سرقت ... من سواد الحظ مازان الشعر
سائلوها كيف غطت وجهها ... بالدجى هل في الدجى يخفى القمر
سائلوها رحمة أنفى بها ... من هموم القلب ما أذى الفكر
سائلوها حفظها من عبرتي ... عبرا فالدمع قدير وى العير
سائلوها من هواها والجوى ... وشقائي والنوى أين المفر
سائلوها كيف لا تعذرني ... وعذولي بعد عذلي قد عذر
سائلوها عن ليال قد مضت ... ولنا في جنحها طاب السمر
سائلوها كيف ترضى بالقلى ... أنا صب في هواها ما غدر
سائلوها كيف يهواني الكرى ... وأنا أصبحت مضنى بالسهر
سائلوها عن دواعي هجرها ... هل أنا تحسبني ممن هجر
أن من يصطاد في الماء النقي ... غير من يصطاد في الماء العكر

***

ما بين لحظك والفؤاد   حرب غدت ذات انقياد

أمحا ربى بصدوده   علمتنى كيف الجهاد

حاصرت جيش عواذلى   ومحاصرى جيش السهاد

إنسان عينك والسوا   لف مثل حظى فى السواد

قد ضل عقلى فى هوا   ك وأنت فى زمن الرشاد

ولأجل بعدك صرت أع   شق من هيامى كل واد

رمت صيدا الغيد يوما   بشبا كات القنص

فرمتنى بسهام   أورثت قلبى الغصص

خلفتنى كسجين   لو يرى الدنيا رقص

وإذا جاء بشير   وعلى الاسم قصص

طار قلبى من سرورى   مثل طير فى قفص

(وادى الضلال)

لونابارك فى مصر الجديدة

ألا يا دهر مالك لا تثوب ... علام يؤم ساحته اللبيب ؟
تريش لنا سهاماً صائبات ... إلى رشد وعن عنت تتوب
تحارب مصر وهى تريد سلما ... فؤادا لا تروعه الخطوب
فواعجبى لما حاربت مصراً ... كان مقابل السلم الحروب
ألا فاخمد سعير الحرب يوماً ... أهل مصر فتى . حر أديب؟
فحسبك أن يكون لها وقودا ... وحاذر أن يشب لها لهيب
فقد دمرت دوراً عامرات ... تلاد المال والعقل المصيب
فأمسى فى حشاشتها كلوم ... وقد حلت بساحتها الكروب
وكم ذنب أتيت به وكنا ... وأضحى فوق خديها ندوب
فألفيناك جئت لنا بذنب ... بغض الطرف علك لا تتوب
ومن هول المصايب شبت طفلاً ... عظيم لا تعادله ذنوب
فكيف يروق فى عينيه ملهى ... وكل فتى يهذبه المشيب
توافد كل عشاق الملاهى ... (كلونابارك) وهو فتى نجيب
يعمر بالرجال وبالغوانى ... عليه كأنه وادٍ خصيب ..!!
... وفى ملهاه كمن خربت جيوب

***

ألا يا عاذلي بالله دعني   علام يوم ساحته اللبيب ؟
وما فيه سوى ألعاب طفل   يمج لقاءها الرجل المهيب
تشوه خلقة المرآة حتى   من الوابور ترتجف القلوب
له من مكسب الفقراء شطر   ومن مال الغنى له نصيب
وليلة أن نرى الإباء فيه   يبيت الطفل يقتله الحبيب

ومن عجب تسارع ذات بعل   إليه وليس يصحبها رقيب
وتقصده الأوانس مسرعات   يغازلهن ذياك الغريب
(ألو نا بارك) مدرسة العذارى   وملجأ من تحيط بها الخطوب؟
فتأويه الحسان بلا حياء   وتنذر ألهن ولا مجيب

والد من بهيمة الأنعام

ويختلط الأسافل بالغواني   ويتهم المهذب والأريب
أمور تضحك السفهاء منها   ويبكي من عواقبها اللبيب

خطوب زماني كدرت صفو مشربي   ومانلت من دهري المعاند مأربي
وما أنا سفاك ولست بمجرم   ولا أنا أفاك ولست بمذنب
ولا أنا سكير أصافي مدامة   ولا أنا صب بالبنان المخضب
ولكنني أهوى المكارم والعلا   ودهري عدو الماجد المتأدب
ومهما يسيء دهري إليّ فإنني   تعوّد إيذاء الأديب المهذب
ولكنني لم أغفر ذنب والد   تزوج كرهاً بنته ذلك الغبي

رأهـــا فهامـــت نفســـه بزواجهـــا فـــواعجبى مـــن والـــد متصـــبب
(بـــأى كتـــاب أم بأيـــة ســـنة) يقولون إن البنت تهدى إلى الأب

***

ولما غدا الوغـد الـزنيم أخـا جـوى وأصـــبح ذا قلـــب معنـــى معـــذب
أراد ابتعـــاد الام عـــن خـــدر بنتهـــا فأوســـعها ضـــرباً وقـــال تحجبـــى
وقـــال لهـــا إنـــى غنيـــت عـــن النســـا فهيـــا إلـــى دار لخالتـــك اذهبـــى
فقامت وولـــت وجههـــاً شـــطر منـــزل لخالتها قالت لهـــا الـــزوج مغضـــبى
فقالـــت لهـــا أهـــلاً ببيتـــى ومرحبـــاً ولا تـــأنفى بيتـــى ومنـــى تقربـــى
وعيشى معى عـــيش الأبـــى بـــلا عنـــا ولا تمكثـــى عنـــدى بوجـــه مقطـــب
وهشت ويشت ترتضـــى بنـــت أختهـــا وأصـــبح ذاك البعـــل أقـــبح مـــذنب

فقد راح يسعى نحو حجرة بنته ... وأيقظها ليلا ولم يتأدب

وراودها عن نفسها فتعففت ... وقالت له قد رمت عنقاء مغرب

أبى ذلك الديوث إلا افتضاضها ... فصاحت فقال ارضى إذا وتأدبى

فقالت معاذ الله إنى عفيفة ... ولا تقترب إن التحصن مأربى

فجاذبها كرها وصدته جهدها ... وضاقت به ذرعا ولم يتجنب

وأشهر سكينا وهددها بها ... فقالت له رفقا ببنتك يا أبى

أتقتل من صار العفاف شعارها ... ومن تخذته كالرداء المهذب

أتعدم من تحيى لك المجد فى الورى ... إذا شئت هذا فاقترب أنت واضرب

بربك لا تغلظ على فإننى ... عقيلة خدر ما هممت بأجنبى

فجاذبها والدمع يعقل قولها ... تقول له رحماك لست بثيب

وما ثلمت عرضى يد البغى والخنا ... فلا تك بين العالمين معذبى

وأين حنان الوالدين وعطفهم ... وأين عفاف الوالد المتأدب

وصاحت لكيما تستغيث بعطفه ... وأنى حنان الغاصب المتلهب

ومرغمة باعت- وكرها قد اشترى ... فحييت من بنت وخيبت من أب

أسأت إلى مصر أسأت إلى الورى ... أسأت إلى التقوى أسأت إلى النبى

وخمسة أعوام قضى مع بنته ... كأنهما كلب يعيث بربرب

وأصبح من زفتى إلى الثغر راحلا ... ومنه إلى مصر وفى مصر قد ربى

وعند أخيه حل ضيفا وبنته ... بجانبه يا ليته جنب عقرب

وأمرهما قد أدركت زوج عمها ... فقالت لمولاها أجب كل مطلب

تقــــدم إلـــى ذاك اللعـــين وقـــل لـــه ... بحلـــم عـــن البنـــت ابتعـــد وتجنـــب
وقـــد شـــرحت مـــا شـــاهدته لزوجهـــا ... فـــراح إلـــى ذاك الأثـــيم المخـــرب
وأوســـعه زجـــرا فأشـــهر مديـــة ... فأهملـــه فعـــل الحكـــيم المجـــرب
وراح إلـــى دار الحكومـــة شـــاكيا ... تهـــور ذاك النـــذل أقـــبح مـــذنب
فجـــئ بـــه عنـــد الملاحـــظ ضـــحوة ... فـــأنكر أقـــوال الأخ المتـــأدب
فجـــئ بتلـــك البنـــت بعـــد ســـؤالها ... أقـــرت ودمـــع العـــين يـــدرى بصـــيب
وقـــد شـــرحت بالصـــدق أســـرار حالهـــا ... وقالت لهـــم قـــد صـــار زوجـــى إذا أبـــى
ألا فانقـــذونى مـــن يـــد الجهـــل والخنـــا ... فـــلا زال هـــذا النـــذل يـــا قـــوم مرهبـــى
فحول جانيها – وتلك – وعمها ... على الثغر كى يلقى عقاب المعذب

* * *

فيا لعنة الجبـــار صـــبى علـــى الـــذى ... أتى جرمه والجرم لـــيس بطيـــب
ولابـــد فـــى الدنيـــا يلاقـــى جـــزاءه ... ويـــوم لقـــاء الله يجزى بأصعب

* * *

ألا يا قضاة العدل إن شئتم احكمـــوا ... بإعدامه فالسجن ليس بمطلبـــى
ألا قطعـــوه واحرقـــوه فإنمـــا ... مقابرنا ليست مســـاكن للغبـــى
ولا تجعلـــوه فـــى الحيـــاة فإنـــه ... كجرثومة إعدامها خير مـــأرب
وإن قيل هاتيـــك القضـــية أظلمـــت ... فنجم القضاء الحر أضوأ كوكب

(المشاغبون)

حياة الفتى شطران بـــؤس وأنعـــم ... ونيل المنى بـــين الأنـــام مقســـم
وذو النفس ذات الخبث فى النـــاس ... وذو الشمم العالى مهيـــب مكـــرم
مـــــــــــــــــــــــــــــــــــبغض ... على الظلم لكـــن فـــى الشـــكاية

وطائفة التفريق فى مصر أجمعت … أحجموا
ومن عجب أن الغرور يقودهم … إلى هوة فيها الشقاء المجسم
أمانيهم شبهتها بزخارف … يؤملها الطفل الرضيع ويحلم
وما ساقهم للبغى إلا غرورهم … وما قادهم للخزى إلا التندم
لهم كل عام غارة كلما انقضت … عليهم بلا جدوى اختفوا وتندموا
فإن قيل أفك أقبلوا وتكاتفوا … وإن قيل صدق أعرضوا وتبرموا
ومن جهلهم خلوا الحكومة جانباً … وراحوا إلى التاميز والحظ مظلم
ونادوا بصوت خافت وطنينه … طنين ذباب ليس يبعد عنهم
وأصبح فى أسيوط عرش مليكهم … وحارسه جدنيه المتهكم
فأضحك ثكلاهم وأبكى عروسهم … خليفتهم من لم يفد التوهم
يقولون إن المسلمين تكاثروا … علينا فعدنا القهقرى وتقدموا
يقولون إنا قد غبنا بأرضنا … ولو أنصفوا قالوا نسبئ ونظلم
يقولون أرغمنا على دفع مالنا … وأبناؤنا من مالنا ما تعلموا
يقولون سووا بيننا فى وظائف … تقلدها بين البرية مسلم
يقولون انا منصفون فانصفوا … وما عرفوا الإنصاف لكن توهموا
يقولون ما منا مدير وحاكم … كبير يسوس الأمر فينا ويحكم

ومن عجب أن يجمعوا أمرهم على … محاسبة النظار بئس التهكم
وهم نطقوا جهلا وشادوا على شفا … فنالوا الأسى يا ليتهم ما تكلموا
فقام (أبو شادى) وبدد قولهم … وأظهر آراء بها الحق مفعم
بأيديهم وهو الصديق المكرم

أبان لهم أن الوظـــائف جلهـــا

وكـــان بيانـــاً وافيـــا مـــا رأيتـــه　　　من العد والتقسيم والصدق أحسم

وقامت لهم (مصر الفتاة) وغيرهـــا　　　تبيِّن لهم عوراتهم كيـــف تعلـــم

ومؤتمر المصرى شـــتت شـــملهم　　　بقـــوة آراء يبلغهـــا الفـــم

وحاربهم بالســلم والجـــبن دأبهـــم　　　ومن كان ذا جبن وحورب يهزم

فيا من ســعيتم للتفـــرق أنصـــتوا　　　وقولوا بصدق فهو أحرى وأحزم

ألم نسقكم كأسا من العـــز والهنـــا　　　لكى تحفظوا حق الوفـــا فنبـــذتم

تلقـــنكم صـــنع الجميـــل تســـامحا　　　لكى ترغبوا فى حفظه فكـــرهتم

وكـــل فتـــى مـــنكم نريـــد رقيـــه　　　نشيد له صـــرح العـــلا ويهـــدم

نجازى على فعل الجميـــل بضـــده　　　ولم نقترف ذنباً ولا نحن نجـــرم

ولا نـــدعى أن المســـيح بيننـــا　　　ولا أمنا من بعـــد حـــواء مـــريم

ويـــامن تلـــوم الكـــاتبين وقـــولهم　　　وترغب فى عفو متى ساء مجرم

(إذا كنت لا تدرى فتلـــك مصـــيبة　　　وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم)

* * *

الباب الثامن عشر

فـــى المـــراثـــــــــــــــــــــــــــى

لم تر الناس أصعب وقعاً ولا ألماً لها من فقد ما تود له البقاء ،ولا مسلى لها على أحزانها غير أن تعبر عما ألمَّ بها ، ونشكو لواعج حرورها وتملى بصدق رويتها على فكر صاحبها فيثبت القلم كل ذلك الألم ، وإليك نفثات ذلك الصدر المحزون التى لو سطرتها بماء العيون لكنت مقصرا فإنى ما عرفت ساعات الشقاء إلا بعد أن مات والدى الكريم فسلام عليه فى جنات النعيم وتحية تليق بحنانه الدنيوى ورضوانه الأخروى.

وها بعض ما قلته راثيا إياه وقد ألقيتها على قبره يوم الأربعين فى حفلة حضرها نيف وأربعة آلاف نسمة وكان ذلك فى الواحات الداخلة مقر وظيفته التى مات وهو بها قاض لها:

عند قبر قد ضم ميتا وحيا ... أقبل الشبل للكرام وحيا

ولسان الدموع ينبيك عنى ... حيث إنى تركت ربعا وحيا

وقطعت الجبال بين بكاء ... ونحيب ما جئت أمرا فريا

آه من دهر كنت فيه سعيدا ... فغدوت بالعاديات شقيا

آه من دهر خائن ذى دهاء ... كم صفى لى وكان حلواً نقيا

كم صفى لى وكم رشفت رضابا ... خلته فى المذاق شهداً جنيا

فغدا كالسموم والسم أشهى * * * لمعنى يرى الزمان عتيا

يا نداماى باندامى دعونى ... وشجونى لكم فلست نجيا

لست أبدى من القريحة شعرا ... فى الغوانى وصرف كأس الحميا

ودعوا مجلسى وحيوا سواى ... أو هلموا بالجمع ذلك إليا

كى نكون فى العاديات سويا ... مثل ما كنا فى السرور سويا

فلقد مات سيد كان طوداً … خير حصن ولى فكان وليا

ما علمت الزمان خائن إلا … يوم أن مات والد بى حفيا

قد قضى يونس ولو كان قاض … إنما أمر ربه مقضيا

حينما مات شمت دمعى كوبل … وأرانى اكتسب حصرا وعيا

ليتنى مت قبل هذا وليتى … كنت نسيا من قبله منسيا

يا أبى سكنت بلحد … وأنا صرت للقصور أبيا

ليتنى أموت وأقضى … وأوفى دينا لربى على

على روحى تروح يوم رواحى … لنعيم أمسيت فيه سريا

يابى يا أبى تركت عيالا … وكبارا من كيد دهرى بكيا

أن بكت إخوتى وعمى وخالى … أو بكى صهرى أو بكيت مليا

لن يكون البكاء مثل بكاء … العدل والشرع والقضاء سويا

سوف تبكـى الأرامـل المعـدمات … ينـــوح الفقيـــر مـــا دام حيـــا

كيـف لا كيـف لا وكنـت مقـيلا … عثـرات الملهـوف صـبحا عشـيا

كنـت غوثـاً لهـم وكنـت غياثـاً … وبعهـد الصـديق كنـت وفيـا

كم من المعـدمين صـاح سـرورا … يـوم أن بـات بالعطـاء هنيـا

كـم مـن المعـدمين نـاح ثبـورا … يـوم أن صـرت يـا أبـى منعيـا

فـى أبـى تـيج والنخيلـة قـوم … يـا أبـى مـذ نعيـت بـاتوا بكيـاً

اذرفـوا دمعهـم وشـقوا الجيـوب … إذ لهـم كنـت راضـيا مرضـيا

وأبـا بـاراً بـل وفـى كـل أمـر … كنـت ترضـى فقيـرهم والغنيـا

يـا غريـب الـديار منـى سـلام … جئـت أهـدى مرنحـا عبقريـا

حملتنيـه أخـوة باكيـات … لـم يكفكفـن بكـرة وعشـيا

هـن يبكـين والجنـان تـزان … والجنـان مـدى المـدى مشـويا

بـدموع كالمهـل تشـوى الوجـوه … بئسـت الـدنيا إنمـا لـدنيا

أى قلب يئن من غير صدع … أى دمع يسيل ظلما وغيا
أى شخص يبقى ليوم النشور … حيث قد غادر الزمان النبيا
أين طه أين موسى وهود … وأبو بكر لست أنسى عليا
أين زيد وعزة وكثير … أين هند وزينب أين ميا
كل حى يموت حتما سيفنى … ذا الوجود وليس باق مليا
يا جناب الدكتور قد تبرى الداء … إذا ما ألقيت ذا الداء حيا
وإذا ما انقضت حياة مريض … ليس يجدى الدواء فى الداء شيا
هكذا وعد الإله الحكيم … إنه كان وعده مأتيا
يا جناب المأمور أظهرت للنا … س جميعا أمرا جليلا جليا
وأمطت النقاب يوم توفى … عن محيا إلا الإخلاص نعم المحيا
حزت شكراً ما حازه قبل كسرى … وأتا ما أهديته إنسيا
نحن نبكى لفقد نبراس علم … أفلا نكتفى كفى يا أخيا
فى النعيم المقيم رضوان نادى … يا آل هذى الجنان هموا وهيا
وتهنوا بالخلد حقا تهنوا … قد أتى (يونس) وبات هنياً
آنسته الولدان والحور جمعا … جاءنى بعضهم وزف إليا
بشرة قد أرختها وهى هذا … يونس قد حاز المقام العليا

سنة ١٣٢٧ ٢١ ٧٠٦ … ١٢٦ ١٠٤ ١٦ ٢١٢ ١٤٢

وقلتها حينما حضر لى التلغراف :

نعى نعيه يوم الثلاثاء إنما … تبدل بالسهد المضر هجوعى

وأذرفت دمعى بعد أن مات والدى فياليتنى غسلته بدموعى وقلت:

ولو أوردت لك ما رثيته به لا حتجت إلى تصنيف ديوان آخر أسكنه الله فسيح جناته.

وقلت راثياً فقيد الأمة والشرق مصطفى كامل باشا:

وأجهدت نفسى طامعاً فى مسرة   فأبصرت أكواب العناء تدور
تناولت منها الكاس بعد امتزاجه   بماء الأسى أن المذاق مرير
ولست الذى قد جرع الكأس عنوة   ولكن مثلى فى الشقاء كثير
وإن شئت قل كل الخلائق فى ضنى   فقد مات شهم للبلاد نصير
فتى ما جد ما دنس اللؤم عرضه   كريم السجايا للعدو نذير
ثلاثين عاما قد قضى غير أنه   لكل كبيرات الزمان غفور
أيا مصطفى يا مصقعا بين أمة   كأنك قس بينها وجرير
لقد نمت عنا بعدما كنت ساهراً   تردد طرفا فى العلا وتشير
أيا قمرا مذ غاب غابت أهلة   وقد أفلت بعد البزوغ بدور
لقد هان عندى كل خطب يحل بى   وقلت إذا أن الحياة غرور
سلام على الدنيا وإن كنت عالما   بأنى إلى رب العباد أصير
فما الموت إلا حوض من عاش وارد   وما الحزن إلا زفرة وسعير
إذا حزنت مصر البلاد وأهلها   فقد فرحت عند القدوم قبور
وقد زينت حور وولدان جنة   وقد شيدت وسط الجنان قصور
وكم مخلص شق الجيوب تحسراً   مذ ارتاح من آل الجنان ضمير
ولو كنت تفدى لافتدينا وإنما   رسول البرايا مرشد ونذير
لنا الأسوة الحسنى به وبآله   فأين أبو بكر وأين نمير
ولكن عينى مذ نعيت تسهدت   وكادت من الدمع الهتون تحور
فكم حكت من ثوب المعالى مطارفا   تردى بها بين السراة فقير
وراعيت حق الله والله قائل   جزاؤك عندى جنة وحرير

الختام

أحمد الله مبدأ وختاما … حيث صار الديوان يدوى الأواما

ثم أهدى الغاضبين عن كل عيب … جاء فيه تحية وسلاما

ثم اغضى عن كل وغد لئيم … لا يرى العذل سبة وحراما

ومن اغتر وانبرى لانتقاد … ما له عندى غير صمت حساما

وكفى أن يكون نزلا لئيما … وسفيها مخاذلا لواما

إن من يجسد الكرام لفعل … مسبقوه فعله لن يلاما

فهو غر بل إن كنت أخطأت أرجو … أن قول الأديب يشفى السقاما

غير أنى إن كنت أخطأت أرجو … منه عفوا أن كان يرعى الزمام

وإذا غاص فى بحار عذلى سيفه … فعليه يطيل الكلام

المراجـــــــــــــع

١. إيمان مهران، يونس القاضي مؤلِّف النشيد الوطني المصـــري .. وعصر من التنوير، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠١٢

٢. إيمان مهران، قراءة في ذاكرة الأمة (موسوعة مؤلفي الأغاني في مائتى عام) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧

٣. إيمان مهران، شيخ المؤلفين محمد يونس القاضي ..رائد التـــأليف المسرحي والغنائي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ٢٠٠٤

الكاتبة في سطور..د. إيمان مهران

عضو هيئة تدريس بأكاديمية الفنون بالقاهرة، رئيس لجنة الفنون الشعبية بالإتحاد العربى لحماية حقوق الملكية الفكرية، عضو المجلس الأعلى بالثقافة، عضو اتحاد الكتاب المصريين، عضو المنظمة العالمية للكتاب الأفروآسيويين، رئيس مجلس أمناء مؤسسة : النيل للتنمية والتواصل الحضاري.د. إيمان مهران، عضو نقابة الفنانين التشكيليين.

المؤلفات العلمية والتوثيقية

أ. مؤلفات في مجال الفنون الشعبية:

- فنون التشكيل الشعبي والمجتمع العربي_ رؤية مستقبلية للتنمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٥ .
- روائع خزفية، مكتبة الانجلوالمصرية، ٢٠١٤
- كبار السن والموروث الشعبى، مكتبة الانجلوالمصرية، ٢٠١٢ .
- الألعاب الشعبية والهوية الكونية ، مكتبة الانجلوالمصرية، ٢٠١٢
- منذنة فى كتف صليب (دراسة فى توثيق وتنمية فن الكليم الاسيوطى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١.
- الفلكلور المقدسى بين التنمية والتهويد ، ٢٠١٠.
- الفخار الشعبى فى مدينة قنا ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٧.
- نحت أطفال قرية القرنة ، ٢٠٠٦.
- خزف جراجوس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣

ب. مؤلفات في مجال توثيق الأغنية المصرية:

- يونس القاضي .. مؤلف النشيد الوطني المصري ..وعصر من التنوير، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،٢٠١٢ .
- قراءة فى ذاكرة الأمة (موسوعة مؤلفى الأغانى فى مائتى عام) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧
- شيخ المؤلفين (محمد يونس القاضى)، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ،٢٠٠٤.

ج.المؤلفات الأدبية :

- ديوان القاضي مؤلف النشيد الوطني المصري ، ٢٠١٥ .
- ترانيم في الحب من النيل للفرات، قصص قصيرة، ٢٠١٤
- مسرحية أمير الحلوي وملكة قلوب الأمازيغ(مسرحية من أفريقيا القديمة)، ٢٠١٣.
- مسرحية سي سي وأمير الأمازيغ(مسرحية من أفريقيا القديمة)،٢٠١٣.

الفهرس